الشيعة وفكرة الوحدة

والتقريب بين المذاهب الاسلامية

بقلم :

محسن الحيدری

دوشنبه ۲۶ خرداد ۱۳۹۳ هـ . ش

۱۸ شعبان ۱۴۳۵ هـ . ق

الحمدلله رب العالمين والصلوة على محمد وآله الطاهرين ورضى الله عن صحبه الميامين

تمـهـيـد :

إنّ مصطلحات من قبيل الوحدة والتّقريب بين المذاهب الاسلامية ، وان كانت مستحدثة وشائعة فى اوساط المسلمين فى القرون الأخيرة اثر الحروب المدمرّة التّى حدثت بين الدولتين العثمانية والصفوية ، خاصة بعدما تغلغل الاستعمار فى اوساط المسلمين وحاول اشعال نيران الخلاف الطائفى والنزاع المذهبى من جديد و تعكير الاجواء فيما بينهم حتى يصيدوا اسماكهم فى المياه المختبطة، الامر الذى دعا جمعاً من المصلحين وعلماء الدين من الفريقين الى طرح فكرة التقريب والوحدة الاسلامية خاصة فى القرنين الآخرين ، الّا أن أساس الفكرة ليست جديدة ، فان العلماء الاخيار والكبار من الفريقين ، انطلاقاً من المبانى الدينية المعتمدة على القرآن والسنة ، كانت بينهم صِلات حسنة وعلاقات وديّة حتّى فى مجال الافادة والاستفادة العلمية خاصة فيما بين قدماء الفقهاء والمتأخرين ، وان لم تطرح حينذاک مصطلحات كالوحدة والتقريب وما شاكل ذلک . و هذا فى نفس الوقت الذى كان الجهلة من الفريقين يسعّرون نيران الفتن ، وبعض الحكام والسلاطين يسيرون وفق مصالحهم فى تأجيج تلک النيران .

وهذه الفكرة كانت لها دعاة ومؤيدّون ، كما كانت لها اعداء و مناؤون . ولا زال الخلاف والنزاع قائماًعلى عدم وساق حول هذه الفكرة ، وان فكرة الوحدة والتقريب حسنة وممدوحة ام انها بدعة مذمومة وتوجب الانحراف والضلال ، وانها تخدم الامة ومصالحها ام هى تجلب الشرّ و الويلات اليها.

وأحسب أن سبب الخلاف يرجع الى أحد أمرين :

الف ـ سوء التفاهم حول تعريف الفكرة والمقصود منها .

ب ـ وجود مصالح واهواء نفسية عند البعض تتنافى مع الفكرة .

والعامل الثانى ليس بمقدورنا ازالته ، لانّه يتطلب جهاداً مع النفس والاهواء النفسية الذى ينبغى لكل احد ان يمارسه حتى يبتعد عن مستلزمات الاهواء والاطماع ، وهذا مما يجب على الكّل القيام به ولا يكفى لأن يبتعد عنه من يسمّى باسم المصلحين .

وامّا العامل الاوّل فيمكن لكل داعية و كاتب وخطيب ومصلح ان سيساهم فى رفعه وازالته حسب المقدور .

ونحن هنا نحاول ان نعالج الموضوع باسلوب علمى هادف وهادئ ، ونطرح فى هذه الرّسالة عدة مواضيع ترتبط بمواقف الشيعة عن فكرة التقريب والوحدة الاسلامية ، وهى :

الف ـ تعريف فكرة الوحدة والتغريب بين المذاهب الاسلامية .

ب ـ مبان الوحدة والتغريب بين المذاهب الاسلامية .

١ـ النصوص القرآنية الدّالة على لزوم الوحدة الاسلامية .

٢ـ الوحدة الاسلامية فى السنة الشريفة .

٣ـ الوحدة الاسلامية فى سيرة ائمة اهل البيت (ع) .

٤ـ الوحدة الاسلامية فى سيرة علماء الشيعة .

١ـ تعريف فكرة الوحدة والتقريب بين المذاهب الاسلامية

يمكن لتبيين فكرة الوحدة والتقريب بين المذاهب الاسلامية عرض تعريفين مختلفين :

التعريف الاول للفكرة .وفى هذا التعريف فرضان .

الاول : وهو ان يراد بالوحدة ادماج وادغام الجميع اتباع المذاهب الاسلامية فى أطار واحد ، وهو الاسلام بان يتناسى اتباع كل مذهب ما يرتبط بهم من عقائد واجتهادات وتميّزهم اتباع المذاهب الاخرى ، ويلتزم كل المسلمين بالمشتركات من العقائد و الاحكام الفقهية فقط ، كالايمان باصل التوحيد ونبوة النبى محمد (ص) واليوم الآخر والقرآن وما اجتمع عليه المسلمون من احكام الصلاة والصيام وما شاكل ذلک . وعليه فعلى الشيعة ان يتركوا الاعتقاد بامامة الائمة الاثنى عشر المعصومين ، وان لا يمارسوا شعائر عاشوراء والغدير والفاطمية والمهدوية ، وان يلغوا زيارة عاشوراء و الزيارة الجامعة ودعاء الندبة و الشهادة الثالثةفى الاذان والاقامة وما شاكل ذلک . وعلى اهل السنّة أن يتركوا الاعتقاد بعدالة الصحابة وخلافة الخلفاءوصلاة التراويج ، والتثويب فى الأذان والتكتف فى الصلوة وما شابه ذلک .

وخلاصة الكلام ان مراد بفكرة التقريب هو تذويب المذاهب وصهرها ببوتقة الاسلام ، بمعنى العقائد والاحكام المشتركة . فهذا هو الفرض الاول .

واما الفرض الثانى هو ان يختار المسلمون مذهباً من بين المذاهب من بين امذاهب الاسلامية ويلغوا سائرها ، فمثلاً الشيعة ان الشيعة يتركوا مذهبهم بالكليّة ويعتنقوا التسنن ، او يترک اهل السنة مذهبهم ويتشيعوا .

فالمراد بالوحدة على هذا الفرض هو الوحدة فى العقيدة والمذهب .

التعريف الثانى للفكرة : هو ان يراد بالوحدة ، وحدة الصّف المشترک فى المجالات السيّاسيّة والاجتماعيّة ، بان يشكّل المسلمون عامّة ، اى كل من يعتقد بالشهادتين امّة واحدة فى موقع واحد وجبهة اسلامية واحدة للوقوف يوجه اعداء الاسلام من الصهاينة والصليبيّين وكل من يريد الكيد بالاسلام والمسلمين من الشرقيّين والغربيّين .

وانّ اتباع كلّ مذهب يبقون على ما ما يمتازون به من عقائد ويمارسونه من اجتهادات خاصة فى الاحكام الشرعية ، وان يحترم ابناء كلّ مذهب واتباع كل طريقة الآخرين ، وان يمارسوا اسلوب التسامح والسماحة الاسلامية تجاه الآخرين ، وان يكنّوا المحبّة اليهم ، وان يبتعدوا عن النيل بمقدّساتهم كما يبتعدوا عن تكفير و الاخرين .

فلا يراد من عنوان الوحدة الاسلامية الوحدة فى العقيدة ولا المذهب ، بل وحدة الصّف فقط .

والمراد بالتقريب هو قيام علماء الفريقين بتمتين العلاقات والارتباطات الاخوية ، وممارسة الحوارات العلمية البنّاءة من اجل التعّرف على عقايد واحكام المذاهب الاخرى ، والتعريف بحقيقة ما يعتقدونه من مذهب ويمارسونه من احكام فقهية فى ظروف اخوية ، ومباحثات بناءة موضوعية وهادئهِ وهادفة بلا تعصّب مقيت . وبذلک تقوّى الابعاد المشتركة وتقللّ موارد الخلاف بشكل طبيعى وتدريجى .فان منشأ كثير من الخلافات العقائديّة والفقهية هو سوء تفاهمات تتبخّر عادة باللّقاءات العلمية والعلاقات الاخوية .

وعليه فاللازم أن يحاول العلماء التجنّب من الضوضاء والصخب الجهلائى و الابتعاد عن طرح القضايا الخلافيّة العلمية فى اواساط العوام الذين لا يمكن كثير منهم درک الدقائق العلمية والاكتفاء بطرح تلک المسائل فى مجالس الحوارات الخاصة او فى الكتب والرسائل العلمية ، واذا أرادوا تبيين

حقائق مذاهبهم عبر المنابر العامّة والفضائيات ومواقع الانترنت والصّحف مثلاً فعليهم طرح المباحث بموضوعيّة والاجتناب عن تجريح عواطف الآخرين بالنّيل من مقدّساتهم .

دراسة فى تعاريف الوحدة الاسلامية والتقرب بين المذاهب

ملاحظات على التعريف الاول :

يلاحظ على العريف الاول بعدة وجوه :

الوجه الاول : صحيح ان المسلمين تربطهم عقائد واحكام شرعية مشتركة ، الّا ان اتباع كل مذهب يرون ان ما يمتازون به من مفارقات هو من حاقّ الاسلام ، ويكون حذفها حذفاً لبعض اركان الاسلام واحكامه ، والقول بالفرض على المسلمين بترک اتباع كلّ مذهب مفارقات مذهبهم يوجب القول بخرق الاجماع المركب وابداع اسلام جديد لا يحمل الصبغة الشيعية ولا السنيّة ، ولا شک بانه من مصاديق البدعة المحرمة والضلالة البيّنة لدى كل الفريقين . فعلى فرض قبول كل المسلمين بهذه الاطروحة ، يكون معناها وقوع الكّل فى هذا الضلال المبين .

الوجه الثانى : بناء على الفرض الثانى ، فهو و ان لم يحصل اشكال خرق الاجماع ، لان المفروض ان يجتمع الفريقان على مذهب واحد ولا يبدعوا مذهباً جديداً، ولكن كيف يجتمع الفريقان على مذهب واحد ، والحال أن كل فريق يرى انّ مذهبه هو الحقّ ؟!

للوصول الى ذلک الاجماع يمكن افتراض عدّة خيارات فى عالم الثبوت .

الف : ان تجرى حوارات علميّة بين علماء الفريقين ، وكل فريق يحاول اقناع الطرف المقابل على أحقية مذهبه ، فاذا اتضح الحق لدى الكل عندئذ يتّضح المذهب الحقّ ، ويتبّع الكلّ ذلک المذهب ، ويدعى عامّة النّاس لاعتناقه .

ب ـ ان يقال بالمدرسة البولارية ، بأن يعتقد الجميع بانّ الحق منبث فى كل المذاهب ، وليس حكراً على مذهب معيّن ، وعند ذلک يمكن ان يتصالحوا على مذهب معيّن ولو من طريق القرعة .

ج ـ ان تفرض قوّة قهرية تفرض الاعتقاد على الجميع باعتفاق مذهب معين والسلطة نفسها تقوم بذلک التعيين .

ولا شک ان هذه الخيارات كلها باطلة فی مقام الاثبات .

امّا الخيار الاول ، فان هذا الامر يتطلب ازماناً طويلة لا تفی لها اعمار اجيال متطاولة فضلاً عن عمر جيل واحد . والدّليل على ذلک أ ن هذه الحوارات والمحاولات على اقناع الآخرين قد بدأت منذ صدر الاسلام الى هذا الزّمان وهی وان نجحت بصورة نسبية بالنسبة الى الاشخاص والمناطق ولكنها لم تحّل المشكلة بصورة جذرية الى الان . فهذا الخيار ليس جديداً فهو بدأ منذ اربعة عشر قرناً ولا زال على قدم وسايق ولم يسبب حل المشاكل العالقة سياسياً واجتماعياً كما هو معلوم .

ولم تحصل بهذا الاسلوب الوحدة المطلوبة

وامّا الخيار الثانی فهو باطل ، لان المبدأ البولارى مبدأ فكرى غربی قائم على الفلسفة البشرية التّی تتناقص مع الفكر الاسلامی بالمأة ماة ، واما القرعة فهی وان كانت لكل امر مشكل ، ولكن ليس موضوعها اعتاق المذاهب .

وامّا الخيار الثالث فهو باطل ، لان القهر والقوة سبب التغيير فی ظاهر الاحوال ، ولا يسبّب ايجاد عقيدة ولا انعدام عقيدة ، لان العقائد من صنف الميول القلبية ، وهی لا تحصل بالقوة ، بل بالاقتناع . ولذلک صرح القرآن بقوله « لا اكراه فی الدين » .

والشّاهد على ذلک ان حكومات كثيرة من الامويين والعباسيين وغيرهم من التكفيريّين المعاصرين حاولوا فرض عقائدهم على اتباع مذهب يشكّل الاقلية بالقياس الى عامّة المسلمين والقضاء على عقائد الشيعة بكل الحيل وانواع التعذيب والدّمار الشامل ، فلم يفلحوا ، بل ما ازدادت الشيعة بعد تلک المواجهات العنيفة الّا تصلباً على مذهبهم وتشددّاً فی نشر معتقداتهم !

مؤيدات التعريف الثانى

بعد أن عرفنا بطلان التعريف الاول بكلا فرعية ، يعرف بوضوح صحة التعريف الثانى ، فانّه عارٍ عن جميع الاشكالات المطروحة على التعريف الاول اولاً ، ثم يمكن تأييده بنصوص دينية من القرآن والحديث ثانياً ، كما يمكن الاستناد الى سيرة اهل البيت (ع) والصحابة الصالحين بل عموم السلف الصالح والخلف المقتدى لآثار الصالحين ثالثاً ، مضافاً الى انه ضرورة اجتماعية وسياسيّة يدركها جميع المسلمين نظراً الى ما ثبت من شرور و وبلات نتيجة للتشرذم والتفرق الحاصل فى ما بين المسلمين رابعاً .

ب ـ مبانى الوحدة والتقريب بين المذاهب الاسلامية

واليكم تلك المؤيدات التى تعتبر المبانى للوحدة الاسلامية والتقريب بين المذاهب الاسلاميّة بشئ من التفصيل .

النصوص القرآنيۀ الدّالۀ على الوحدۀ الاسلاميۀ

ان آيات كثيرة يستفاد منها الحث على الوحدة والنهى عن التفّرّق وذم الاختلاف ، منها:

الآيۀ الاولى :

١ـ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ »[١] .

الخطاب فى هذه الاية لعامة اهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس ، والدعوة الى الاجتماع على معنى الكلمة ، وهى كلمة التوحيد التّى هى مشتركة بين جميع الاديان السّماوية ، وان حصل حول تفسيرها خلافات فى ما بينهم من الحلول واتخاذ الابن والتثليث و عبادة الاحبار والقسيسين والاسقفه ، ويكون محصل المعنى : تعالوا الى كلمه سواء بيننا و بينكم وهى التوحيد و رفض الشركاء وعدم اتخاذ الارباب من دون الله سبحانه .

فاذا كان القرآن يدعوا اهل الكتاب الذين لا يقبلون اصل الاسلام الى الاجتماع و الاتحاد حول آمر مشترک و هو التوحيد ، فانه يدعوا المجتمعين تحت لواء الاسلام من ابناء المذاهب المختلفة الى الاجتماع والاتّحاد حول الامور المشتركة العقيدية والعلميّة بطريق اولى .

الآيۀ الثانيۀ

[١] ـ آل عمران /٦٤ .

٢- « وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ »[٢] .

السالفة على هذه ، وهى قوله « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ »[٣] .

ان الآية تدعوا الذين آمنوا الى حقيقة تقوى الله ، و عن الموت الا على الاسلام ، و هذه الآية تخاطب نفس الذين امنوا و نأمرهم بالاعتصام بحبل الله وتنهاهم عن التفرّق ، ايذاناً بان التقوى الحقيقية انمّا تتحقق تحت ظلال الاعتصام بحبل الله وعدم التفرق ، وان ترک الاعتصام والوفوع فى حبائل التفرق يوجب الخروج عن التقوى ويسبّب الموت على غير حالة الاسلام . فالآية تأمر المسلمين بالاتحاد باحسن ما يكون من بيان .

ثم تردف ذلک بتذكير المسلمين بنعمة الوحدة والاخوة الدينية ، وان العداء و الخلاف يؤجّجان نيران الحروب فى الدنيا ويوجبان الوقوع فى نيران الآخرة ، وتذكيرهم بما جرى عليهم قبل الاسلام فى زمن الجاهلية بالحروب الطّاحنة التّى كادت تنتهى باجتثاث اصولهم والقضاء عليهم ، وتذكرهم بما فعله رسول الله باذن الله فيهم من تأليف قلوبهم وعقد أو اصرا الاخوة فى ما بينهم .

وفى هذه الآية تحذير شديد للامة الاسلامية من التفرق والتشرذم فى جميع الازمان والامكنة ، ثم ان الوحدة فيما بين المسلمين بحاجة الى محور وعروة يعتصم بها المسلمون لكى تضمن لهم السلامة وتوصلهم الى طريق الهداية وعبّر عن ذلک المحور بحبل الله.

---

[٢]- آل عمران / - ١٠٣ .
[٣]- آل عمران / ١٠٢ .

ولا يمكن ان يكون شئ حبلاً لله الّا اذا كان معصوماً عن الخطا ، لان الاعتصام بغير المعصوم قد يبتعد عن الله فلا يكون حينئذ حبلاً وقد وردت روايات فى تفسير الآية يشير بعضها الى ان مصداق حبل الله هو القرآن ، وبعضها الى سنة الرسول (ص) وبعضها الى عترته ، ولا تهافت فما بين تلك الروايات ، لان هذه المصاديق كلها معصومة وتشكل مصداقاً لحبل الله .

وممّا يدّل على ذلک هذه الاحاديث :

١ـ فى الدر المنثور فى قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً » اخرج ابن أبى شيبه وابن جرير عن ابى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله (ص) : كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء الى الارض[٤] .

٢ـ وفيه اخرج ابن ابى شيبه عن أبى شريح الخزاعى قال : قال رسول الله (ص): انّ هذا القرآن سبب طرفه بيدالله ، وطرفه بايديكم فتمسكوا به فانكم لن تزالوا وان تضلوا بعده أبداً [٥] .

٣ـ وفى امعانى عن السجاد (ع) حديث : وحبل الله هو القرآن [٦] .

٤ـ وفى تفسير العياشى عن الباقر (ع) : آل محمد هم حبل الله الذى أمر بالاعتصام به فقال : واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا [٧] .

٥ـ وفى الدر المنثور أخرج الطبرانى عن زيدبن ارقم قال : قال رسول الله (ص) انى فرط ، وانكم واردون على الحوض فانظروا كيف تخلفونى فى الثقلين ؟ قبلى : وما الثقلانى يا رسول الله ؟

٤ -
٥ -
٦ -
٧ -

قال : الاكبر كتاب الله عزوجل سبب طرفه بيدالله ، وطرفه بايدكم فتمسكوا به من تزالوا ولمن تضلوا ، والاضغر عترتى ، وانهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض . وسألت لهما ذاک ربى ، فلا تقدموهما فتهلكوا ، ولا تعلموهما فانهما أعلم منكم .

٦ـ قال العلامة قطب الدين الكيدرى البيهقى من اعلام القرن السادس ، فى تفسير قول اميرالمؤمنين (ع) فى وصيتّه الى ولده (الرسالة ٣١ من نهج البلاغة) « فانى اوصيک بتقوى الله ولزوم امره وعمارة قلبک بذكره والاعتصام بحبله،واىّ سبب اوثق من سبب بينک وبين الله ان أنت أخذت به؟ » :

والاعتصام بحبله : كل ما يقرّبک الى مرضاة الله فهو حبل الله ، وذلک يختلف حسب اختلاف الأشخاص والاحوال والاوقات . وقد ذكر فى قوله تعالى : « اعتصموا بحبل الله انه القرآن ، وروى أنّ اعرابياً دخل على رسول الله (ص) وقال : التبس علىّ معنى آية من القرآن ففسرها لى ، وتلا هذه الآية وقال : ما هذا الحبل الذى امر الله بالاعتصام به ؟ وكان على عل (ع) الى جنب رسول الله (ص) فوضع النبى يده على كتف على (ع) وقال : هذا حبل الله فاعتصموا به ، فولىّ الاعرابى وخرج و هو يقول : آمنت بالله وبرسوله واعتصمت بحبل الله . فتلقاه رجلان فسمعا منه ذلک ، فضحكا ، ودخلا على رسو الله وذكرا ما سمعا من الاعرابى ، فقال صلى الله عليه واله : (هو رجل من اهل الجنّة فانصرفا الى الرجل فقالا له : انّ لک عندنا بشارة ، ولنا عندک ذنب ، فاغفر ذنبنا حتى نذكر بشارتک ، انّ رسول الله (ص) قال : أنت من اهل الجنة . قال : الحمد الله وما ذنبكما ؟ قالا: لمّا رأيناک تتكلم بهذا الكلام ولم يكن شيئاً سمعناه كان عندنا ضحكة .

فقال : انّ الله تعالى يقول : « وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا »[٨] ، تركتما

[٨]ـ النساء / ٦٤ .

رسول الله وجئتما الىّ لاستغفر لكما؟ اذهبا ان كنتما تؤمنان بالله ورسوله ، وتعتصمان بحبله فغفرالله لكما والّا فلا غفر الله لكما ، فجعل الله عليّاً هو حجة الله بعد رسوله ، ووصيّة على امته ، وحافظ شرعه قرناً فقرناً الى الأبد والقرآن وان كان سبباً بين الله وبين عبيده ، فانّ كثيراً منه يحتاج الى التأويل فيفسره كلّ على مقتضى مذهبه ، فلا بدّله من مبيّن يثق الناس بقوله لعصمته»[٩] .

الآية الثالثة :

« ولو شاء ربّک لجعل النّاس امّة واحدة ولا يزالون مختلفين وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ ۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١١٩﴾ [١٠] .

فى هاتين الايتين اربع فقرات هامة يلزم التركيز عليها :

الفقرة الاولى ، قوله سبحانه : « لو شاء الله لجعل انّاس امّة واحدة » فيه اشارة الى اختلاف النّاس وتفاوتهم من حيث الاختلافات الاختيارية وكذلک الطبيعية الامر الذى جعلهم يتمايزون و يتعددون الى قبايل وطوائف ومدارس متشتتة ، ولم يصبحوا امّة واحدة متشابهة من جميع الجهات .

وهذا لا يدّل على انّ الله لم يتمكن من توحيد هم الى امّه واحدة بالقهر ، لانّ الله على كلّ شئ قدير ، لكن الحكمة الالهية اقتضت عدم توحيدهم كذلک ، امّا من جهة الاختلافات الطبيعية كالالوان والالسن والقبائل والعشائر ، او المعيشة كتفاوتهم فى الارزاق والطبقات الاجتماعية ، فهى من لوازم الحياة الاجتماعية والتكامل البشرى ، وتعتبر هذه الاختلافات من آيات الله البيّنة وحكمته البالغة

[٩] ـ حدائق الحقايق فى شرح نهج البلاغة ، ج٢ / ـ ٤٦٣ ـ ٤٦٤ ، تحقيق الشيخ عزيز الله العطاردى ، مؤسسة نهج البلاغة / ١٤١٦ ق ـ ١٣٧٥ ش .
[١٠] ـ هود / ١١٨ ـ ١١٩ .

يقول سبحانه :

١ـ وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَـٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ »[١١] .

٢ـ « وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴿١٤﴾ »[١٢] .

٣ـ«أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَـٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ »٣٢ .

٤ ـ « ۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَـٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَـٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَـٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ »[١٣].

وهذه الاختلافات من لوازم النظام الأحسن والاكمل فلا يمكن فى حكمة الله ان يمحى هذه الاختلافات ، ويخلق الخلق فى صورة واحدة ويجعلهم فى طبقة واحدة من حيث المعيشة والاقتصاد.

وامّا من جهة الاختلافات الاختيارية كالاختلافات فى الدين والعقيدة فان الله قد اقتضت مشيئة بان ياخذ بن الانسان عقائدهم الدينية عن اختيار واردة لافى اجواء القسر والقهر .

و نعم ، على الله تبيين الغى من الرشد وهداية الناس العامة الى المنهج الصحيح السقيم ، وامّا اختيار احد المنهجين فهو موكول الى اختيارهم لقوله تعالى :

---

[١١]ـ الروم / ٢٢ .
[١٢]ـ نوح / ١٤ .
[١٣] ـ الحجرات /١٤ .

« لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ »[١٤] .

« وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا »[١٥] .

« وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ »[١٦] .

« وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ »[١٧] .

وقوله : « وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ »[١٨] .

قسم فيه اهل القرون الاولى الى فئة قليلة هم من اهل الاصلاح والنهى عن الفساد ، والى اكثريّة ظالمة ومجرمة ، وانه لا يكلّف الله مؤونة اذا أراد ان يوحّدهم جميعاً فينجّيهم من العذاب ، لكنّ ذلک خلاف مقتضى حكمته البالغة من جعل النّاس مختارين يقرّرون مصائرهم بايديهم .

---

[١٤]- البقرة / ٢٥٦ .
[١٥]- الكهف /٢٩ .
[١٦]- الرعد / ٣١ .
[١٧]- النحل / ٩ .
[١٨]- هود / ١١٥ .

قال العلامة الطباطبائی : « والذی ذکره بقوله : « ولو شاء ربک لجعل الناس امّة واحدة » یرید به رفع الاختلاف من بینهم وتوحیدهم علی کلمة واحدة یتفقون فیه ، و من المعلوم انّه ناظر الی ما ذکره تعالی فی الآیات السابقة علی هذه الآیة من اختلافهم فی أمر الدین وانقسامهم الی طائفة انجاهم وهم قلیل وطائفة اخری وهم الذین ظلموا »[١٩] .

[١٩]- المیزان فی تفسیر القرآن ج١١/٦٥ .

الفقرة الثانية :

قوله سبحانه : « ولا يزالون مختلفين .»

كلمة مختلفين اسم فاعل ، مصدره الاختلاف . والاختلاف مأخوذ من الخلف ، والقوم المختلفون الذين يحاول كل واحد منهم ان يجعل رأى الطرف الآخر خلفه ولا يعتنى به .

قال الفيومى : « وتخالف القوم واختلفوا : اذا ذهب كلّ واحد الى خلاف ما ذهب اليه الآخر وهو ضدّ الاتفاق والاسم : الخُلف »[٢٠] .

وقال الراغب : « والاختلاف والمخالفة : أ ن يأخذ كلّ واحد طريقاً غير طريق الآخر فى حاله او قوله »[٢١] .

وقال المصطفوى : « وامّا الاختلاف : فهو يدلّ على صدور الفعل على وجه الصراع والوفاق ، أى اختيار التخلف والموافقة فى الخلف من دون حصول اباء ومنع . والاختلاف فى مقابل الاستواء والاتفاق ، و اختلفوا ، اى : صاروا خارجين عن الاستواء و وقعوا متأخرين ومتخلّفين »[٢٢] .

والمقصود من الفقرة انّ النّاس يستمرون فى خلافهم . والاختلاف هنا مذموم ، لانّه اختلاف فى الدين وتخلّف عن الحق باختيار وعلم نتيجة للاهواء النفسية او الجهالة التقصيريّة . ولا يراد بهذا الاختلافات الطبيعية كما فى الالوان والألسن ، او الاختلاف فى المعيشة . لان هذه الاختلافات ليست عن اختيار ، فلا يذّم المختلفون فيها . والبارى سبحانه صرّح ان الناس كانوا مختلفين حول الدين الحق ولا يزالون مختلفين الى الابد ، ولم يشأ الله فى رفع الخلاف بينهم بالجبر والقهر لانّه يتنافى مع الحكمة الالهية البالغة فى خلق الانسان مختاراً ذا إرادة .

---

[٢٠]- المصباح المنير .
[٢١]- مفردات القرآن .
[٢٢]- التحقيق فى كلمات القرآن الكريم ج٣ / ١١٢ .

وهذا الاختلاف المذعوم هو الذى اخبر عنه القرآن فى عدة آيات منها :

١ـ « كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ »[٢٣] .

ولا يخفى ان الآية تشير الى نوعين من الاختلاف ، احدهما يرتبط بما قبل بعثة الانبياء ، وثانيهما ما بعد بعثتهم . اما الاول فهو الاختلاف فى المعيشة ، حيث انّ الله خلق بنى الانسان بصورة ساذجة اوّلية فهم متّحدون ومتفقون على الاسلوب الساذج للحياة من التغذى بالاعشاب والايواء الى الكهوف والدفاع بالحجارة والأخشاب ، وهذا معنى قوله انهم كانوا امّة واحدة ، ثم تدرجوا فى معرفة الحياة وشؤونها ، وحيث اودع الله فيهم قريحة الاستخدام من جانب والاستعداد للفجور والتقوى من جانب آخر ، وان فيهم الاقوياء وفيهم الضعفاء من جانب ثالث ، بدأ بينهم يظهر الاختلاف على شؤون المعيشة والحياة وظهر التغالب فى ما بينهم ممّا استدعى ذلک بعثة الانبياء وانزال الكتاب ليحكم فيما بينهم على اساس مقرّرات الشريعة . وهذا الاختلاف طبيعى وفطرى كان قد سبق بعثة الانبياء واستمر بعد ذلک بصورة اعقد واعمق وهذا الاختلاف قابل للرفع بالدّين .

وامّا الاختلاف الثانى هو الذى حدث ما بعد البعثة وانزال الكتاب وهو اختلاف فى الدّين ناشى عن البعض والظلم الذى كان بعض حملة الكتاب والعلماء بالدين يمارسونه فيما بينهم وهو الذى يشير اليه بقوله سبحانه : وما اختلف فيه الّا الذين اوتوه من بعد ما جائتهم البيّنات بغياً بينهم .

[٢٣] البقرة / ٢١٣ .

واثر ذلک الاختلاف فی الدّین انقسم الناس الی قسمین قسم التزموا بالدّین الحق وهم الذین قال فیهم : « فهدی الله الذین امنوا لما اختلفوا فیه من الحق باذنه » وقسم آخر انحرف عن الحق ووقف ضدّه ، وهذا الانحراف عن الحق هو الاختلاف المزعوم وقد اشار الیه سبحانه فی آیات اخری .

٢ـ « إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ »[٢٤]

٣ـ «ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ» [٢٥].

٤ـ « ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ »[٢٦]

قال العلامة فی تفسیر الآیة :

« ومحصلّ معنی الآیة والله العالم ، انّ الرسل الذین ارسلوا الی الناس عبادالله مقربون عند ربهم ، مرتفع عن الناس افقهم وهم مفضّل بعضهم علی بعض علی ما لهم من الاصل الواحد والمقام المشترک ، فهذا حال الرسل وقد اوتوا للناس بآیات بینات أظهروا بها الحقّ کل الإظهار وبیّنوا طریق الهدایة أتّم البیان ، وکان لازمهم أن لاینساق الناس بعدهم الّا الی الوحدة والألفة والمحبّة فی دین الله من غیر اختلاف وقتال .

---

[٢٤]ـ آل عمران / ١٩ .
[٢٥]ـ البقرة / ١٧٦ .
[٢٦]ـ البقرة / ٢٥٣ .

لكن كان هناک سبب آخر أعقم من هذا السبب وهو الاختلاف عن بغى منهم وانشعابهم الى مؤمن وكلفر ، ثم التّفرق بعد ذلک فى سائر شؤون الحياة والسعادة ، ولو شاء الله لأعقم هذا السبب أعنى الاختلاف فلم يوجب الاقتتال وما اقتتلوا ، ولكن لم يشاء و اجرى هذا السبب كسائر الاسباب والعلل على سنّة الاسباب التى أرادها له فى عالم الصنع والايجار ، والله يفعل ما يريد .»[٢٧] .

ولا يخفى ان فى الآية اشارة الى ان الحروب الدّاميّة التّى وقعت بين الناس باسم الدّين ، مصدرها بعض من تسمّى باهل العلم والفتوى الذين وقعوا فى فخ البغى والظلم ، وهؤلاء دعوا عامة الناس الى القتال ويؤيد ذلک ما جرى فى تاريخ الحروب الدينيّة من الحروب الصليبيّة والحروب التكفيريّة .

٤ـ « وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ »[٢٨] .

[٢٧]ـ الميزان فى تفسير القرآن ج ٢ / ٣٣٩ .
[٢٨]ـ آل عمران / ١٠٥ .

الفقرة الثالثة :

قوله سبحانه : « الّا من رحم ربّک ».

وهذا الكلام : « استثناء من قوله : « ولا يزالون مختلفين » ، اى انّ الناس يخالف بعضهم بعضاً فى الحق ابداً الّا الذين رحمهم الله ، فانّهم لا يختلفون عن الحق ولا يتفرقون ، والرحمة هى الهداية الالهية كما يفيده قوله : « كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ »[٢٩] .

فى هذه الفقرة اشارة الى أن الوحدة والاتفاق حول المحور الحق ، وهو الدين الالهى ، من مصاديق الرحمة الالهية ، كما انّ الفرقة والانحراف عن الحقّ من مصاديق العذاب الالهى ويشير الى ذلک ذيل الآية وهو قوله : « وتمّت كلمة ربک لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين » .

وجاء فى تفسير القمى عن ابى الجاجرود عن ابى جعفر (ع) : قال : « ولا يزالون مختلفين الّا من رحم ربّک » يعنى آل محمد (ص) واتباعهم يقول الله « ولذلک خلقهم » يعنى اهل الرحمة لا يختلفون فى الدين » .[٣٠] .

[٢٩] ـ البقرة / ٢١٣ .
[٣٠] ـ تفسير القمى ـ تفسير الآية ٢١٩ من سورة هود .

الفقرة الرابعة :

قوله سبحانه : « ولذلک خلقتهم » .

فيه اشارة الى ان الغاية من الخلقة هى الرحمة والهداية الالهيّة التّى تشمل المؤمنين المتحدين حول المحور الحق ، وهذه هى الغاية من الخلقة ، لا أن يكون الاختلاف فما بين الناس غاية لخلقتهم ، فان ذلک يتناقض مع مقتضى الحكمة الالهية .

قال العلامة : « ويتبيّن بما تقدّم على طوله ، على أنّ الاشارة بقوله : « ولذلک خلقهم » الى الرحمة المدلول عليه بقوله « الّا من رحم ربک » وذلک لانک عرفت ان هذا الاختلاف بغى منهم يفرقهم عن الحقّ ويستره ويظهر الباطل ولا يجوز كون الباطل غاية حقيقيّة للحق تعالى فى خلقه ، ولا معنى لان يوجد الله سبحانه العالم الانسانى ليبغوا ويميتوا الحق ويحيط الباطل فيهلكهم ثم يعذّبهم بنار خالدة فالقرآن الكريم يدفع هذا الجميع ببياناته » [٣١] .

[٣١]- الميزان فى تفسير القرآن ج ١١ / ٦٧ .

الاية الرابعة :

قال : قال يا هارون ما منعک إذا رأيتهم ضلوا ؟؟ ألا تتبعن أفعصيت امرى ؟ قال : « قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى »[٣٢] .

هذه الآيات فى سياق الآيات التى تبيّن قصّة ذهاب موسى (ع) الى الميقات فى طور سيناء لتلقّى التورات من الرّب ، بعد أن انجا الله بنى اسرائيل من فرعون وجنوده ، وقد ذكرت القصّة فى سورة الاعراف وسورة طه . وجاء فى سورة الاعراف .

قوله سبحانه : « ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ» [٣٣]

ولكن فى غياب موسى قام السّامرى بقنة كبيرة اضّلّ بها بنى اسرائيل عن صراط التوحيد وهو انّه صنع لهم من الذهب عجلاً جسداً له خوار ، وقد انحرف اكثر بنى اسرائيل الى عبادة العجل .

وانّ موقف هارون كان موقفاً استنكارياً لعمل السّامرى وانحراف بنى اسرائيل ، فانّه لامهم على ذلک ووعظمهم ، الّا انّهم لم يتعظوا بمواعظه . قال سبحانه : « وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ »[٣٤] .

---

[٣٢]- طه / ٩٤

[٣٣]- الاعراف / ١٤٢ .

[٣٤]- طه ٩٠ /٩١ .

وكان موقف بنى اسرائيل موقفاً استضعافياً له ، وقد همّوا بقتله ، لأن الذين بقوا معه على طريق التوحيد كانوا جماعة قليلة امام ذلک الجمع الهائل .

ولمّا رجع موسى وشاهد ما شاهد من الانحراف والفتنة ثار به الغضب ، واوّل ما واجه به الموضوع هو مناقشتة الشديدة لاخيه هارون ، فانه عاتبه عتاباً مقرعاً بعد أن أخذ برأسه ولحيته وجعل يجرّه اليه .

ولكن هارون قام بتبريز موقفه وذكر امرين لعدم قيامه بأمر قاطع باستعمال القوة امام الانحراف ومعاقبة الظالمين :

الاول : استضعاف القوم له

الثانى : خوفه من وقوع التفرقة بين بنى اسرائيل .

قال سبحانه حول الأمر الاوّل :

« وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ »[٣٥] .

وقال سبحانه حول الامر الثانى :

« قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى »[٣٦] .

[٣٥]- الاعراف /١٥٠ .

قال العلامة فى تفسيرالآية :

« تعليل لمحذوف يدّل عليه اللفظ ومحصّله ، لو كنت ما نعتهم عن عبادة العجل وقاومنهم بالغة ما بلغت لم يطعنى الّا بعض القوم ، وادّى ذلک الى تفرقهم فرقتين : مؤمن مطيع ومشرک عاص وكان فى ذلک افساد حال القوم بتبديل اتحادهم واتفاقهم الظاهر تفرقاً واختلافاً . وربّما انجّر الى قتال ، و قد كنت امرتنى بالاصلاح اذ قلت لى : أصلح ولا تتبع سبيل المفسرين » فخشيت ان تقول حين رحت وشاهدت ما عليه القوم من التفرق والتحزّب : فرّقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى فهذا ما اعتذر به هارون وقد عذره موسى ودعا له ولنفسه كما فى سورة الاعراف بقوله :

« قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ »[٣٧] .

الشاهد هو انه يستفاد من التبرير الثانى لها دون من أنّ الحفاظ على الوحدة الظاهرية للامة أمر مطلوب ومقدس للغاية ، وان كانوا فيما بينهم مختلفين فى العقيدة ، وذلک لان التفرقة بتمزّق صفوف الامة يوجب ضياع الارضيّة لحاكمية الحقّ ، ويوجب ضلال الافراد وعدم اهتدائهم الى خير ، وعلى خلاف ذلک فالصبر على الانحرافات والحفاظ على الوحدة الظاهريّة والتريّث بالامة الى حصول مناخ مساعد للاهتداء هو الطّريق الناجح فى هداية الامة الى الامام ، وهذا هو عذر هارون فى عدم قيامه بمقارعة المنحرفين حتى تسنح الفرصة المؤاتيّة لمجئ موسى (ع) والقضاء على الانحراف بصورة أساسيّة . وقد قبل موسى (ع) هذا العذر من اخيه فجعل يدعوا له ولنفسه فى طلب المغفرة من ارحم الرّاحمين.

وهكذا كان موقف هارون هذه الامة ، امير المؤمنين على بن ابى الب (ع) ، فان القوم قد استضعفوه وكادوا يقتلونه ، ولو قادم اميرالمؤمنين (ع) ، باستعمال القوة القهريّة امام القوم لقضى كل شئ انهدمت

---

[٣٦] ـ طه /٩٢ ـ ٩٤ .
[٣٧] ـ الاعراف / ١٥١ .

اركان الاسلام . ولكن الاسلام بقى الى هذا الزمان وسيبقى الى آخر الدّهر ببركة قيام اميرالمؤمنين (ع) واولاده بالمعصومين بالحفاظ على وحدة الامة الاسلامية وإن حدث ما حدث من انحرافات وجرى ما جرى من مصائب ويلات .

الآية الخامسة

إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ »[٣٨].

إن الآية تذّم ـ بصراحة ـ الذين يختلفون فى الدين بعد أن جائهم العلم بغياً وعدواناً ، ويقومون بتفرقة الامّة شيعة شيعة ، وفرقة فرقة ، وان مسلكهم يختلف عن مسلك رسول الله(ص) الذى يدعوا الى كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة . وفيها اشارة الى ان السّابقين من المشركين واهل الكتاب وقعوا فى فخ التفرقة، وهذا الفخ منصوب للآتين ، وفيه تحذير لهم بان الذين يقومن بالتفرقة خارجون عن الدين وعن خط رسول الله (ص) وسنتة ، وان انتسبوا اليه كذباً و زوراً . وقد توّعدّهم البارى بعذابهم يوم القيامة بما كانوا يفعلون .

قال العلامة فى تفسير الآية :

« وجه الكلام السابق وان كان مع المشركين وقد ابتلوا بتفريق الدين الحنيف ، وكان ايضاً « اهل الكتاب من الكلام ، وربّما لوّح اليهم بعض التلويح ولازم ذلک أن ينطبق قوله : « الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً » على المشركين ، و على اليهود والنصارى لاشتراک الجميع فى التفرق والاختلاف فى الدين الالهى .

لكن اتصال الكلام بالآيات المبنيّة للشرايع العامة الالهيّة التى تبتدى بالنهى عن الشرک وتنتهى الى النهى عن التّفرق عن سبيل الله يستدعى أن يكون قوله : « الذين فرقوا دينهم وكانوا شيّعاً » موضوعاً لبيان حال النبى (ص) مع من كان هذا وصفه ، فالايتان بصيغة الماضى فى قوله : « فرّ قوادينهم »

[٣٨] ـ الانعام / ١٥٩ .

لبيان أصل التّحقّق سواء كان فى الماضى او الحال او المستقبل لاتحقق الفعل فى الزّمان الماضى فحسب .

ومن المعلوم أن تمييز النبى (ص) واخراجه من اولئک المختلفين فى الدّين المتفرقين شيعة شيعة كلّ شيعة يتبع اماماً يقودهم ، ليس الّا لانّه رسول يدعوا الى كلمة الحق ودين التوحيد ، ومثال كامل يمثل بوجود الاسلام ويدعوا بعمله اليه فيعود معنى قوله : « لست منهم فى شئ » الى أنهم ليسوا على دينک الذى تدعوا اليه ، ولا على مستوى طريقک الذى تسلكه ، فمعنى الآية أن الذين فرّقوا دينهم بالاختلافات التى لا محالة ناشئة عن العلم ـ وما اختلف الذين اوتوه الّا بغياً بينهم ـ والانشعابات المذهبية ، ليسوا على طريقتک التّى بنيت على وحدة الكلمة ونفى الفرقة ، انما امرهم فى هذا التفريق الى ربهم لا يماسک منهم شئ ، فينبئّهم يوم القيامة بما كانوا يفعلون ، ويكشف لهم حقيقة اعمالهم التّى هم رهناؤها .

وقد تبيّن بما مرّ انّه لاوجه لتخصيص الآية باعداءه (ص) من المشركين ، او منهم ومن اليهود والنصارى ، او المختلفين بالمذاهب والبدع من هذه الامة فالاية عامّة تعّم الجميع »[٣٩] .

ومما يدّل على شمول الآية لما حصل من تفرقة فى هذه الامّة ، ما ورد من احاديث فى تفسير الآية ، منها :

« فى تفسير القمى عن ابيه عن النضر عن الحلىّ عن معلى بن خنيس عن ابى عبدالله (ع) فى قوله الله : « إن الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً » قال : فارق القوم والله دينهم .

أقول : اى باختلاف المذاهب ، وقد مرّ حديث اختلاف الأمّة ثلاثاً وسبعين فرقة .

وفى تفسير العيّاشى عن ابى بصير عن أبى عبدالله (ع) فى الآية :

[٣٩]ـ الميزان ج٧ /٤١٢ ـ ٤١٣ .

« قال : كان على (ع) يقرؤها : فارقوا دينهم » .

اقول : والقراءة مروية عنه (ع) من بعض طرق اهل السنّة ايضاً على ما فى الدّر المنثور وغيره .»[٤٠] .

[٤٠]- المصدر ص ٤١٦ .

الاية السادسة

« وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ »[٤١] .

ان الآية بعد الأمر باطاعة الله ورسوله تنهى عن التنازع وتعلّل ذلک النهى بالفشل وذهاب الرّيح ، ولكن ما معنى التنازع وما المراد بالفشل وذهاب الرّيح؟

امّا التنازع ، فهو تفاعل من النزع ، بمعنى القلع .

قال الفيومى « نازعته فى كذا منازعة ونزاعاً : خاصمته ، وتنازعا فيه ، وتنازع القوم : اختلفوا »[٤٢] .

وقال المصطفوى : « انّ الاصل الواحد فى المادة : هو جذب شئ وقلعه من محله ، كما انّ القلع عبارة عن نزع شئ من اصله بحيث لا يبقى منه باق ، واذا استعملت بحرف فى : فتدل على امتداد النزع و؟؟؟ فى موضوع ... وهذا المعنى يناسب التعبير عنه بصيغة المنازعة والتفاعل الدّالين على الاستمرار ، فالمنازعة فى امر عبارة عن استمرار فى قلع الخصم عمّا فيه من رأى او عمل ، وهذا المعنى يشبه المجادلة والمخاصمة ، وهو منهى عنه ، فانه يخالف الدعوة الى الحق وتفهيم الحقيقة وتليين القلوب ورفع الخلاف ونزع الانانية »[٤٣] .

واما الفشل فهو الضعف والتهاون والتراخى والكسل .

قال ابن فارس : فشل : يقولون : تفشل الماء : سال . والفَشل : شئ من اداة الهودج» [٤٤] .

---

[٤١] ـ الانفال / ٤٦ .
[٤٢] ـ المصباح المنير.
[٤٣] ـ التحقيق فى كلمات القرآن الكريم ج١٢ / ٧٩ .
[٤٤] ـ معجم مقاييس اللغة .

وقال ابن منظور : « الفَشِل : الرجل الضعيف الجبان وقال ابن سيده : فَشِل الرجل : كسل وضعف وتراخى وجَبُن »[٤٥] .

وامّا الرّيح فهى كناية عن الدّولة والقوة والعزّة .

قال امين الاسلام الطبرسى فى تفسير الآية : « الريح : الدولة . قال عبيد بن الابرص :

كما حميناک يوم النّعف [٤٦] من شطب . والفضل للقوم من ريح ومن عدد . اى من عزّة ودولة . ... (ولا تنازعوا فتفشلوا) اى تتنازعوا فى لقاء العدوّ . ولا تختلفوا بينكم فتجبنوا عن عدوّكم وتضعفوا عن قتالهم (وتذهب ريحكم) ، معناه تذهب صولتكم وقوّتكم . وقال مجاهد : نصرتكم ، وقال الأخفش: دولتكم . والريح ها هنا كناية عن نفاذ الامر وجريانه على المراد . تقول العرب : هبّت ريح فلان ، اذا جرى امره على ما يريد وركدت ريحه ، اذا ادبر أمره . وقيل : ان المعنى ريح النصر التّى يبعثها الله مع من ينصره على من يخذله عن قتادة وابن زيد ، ومنه قوله (ص) نصرت بالرّيح وأهلک عاد بالدّبور)[٤٧] .

وحيث ان الآية فى سياق آيات الجهاد ، فهى تركّز على انّ وقوع الخلاف والتنازع فيما بين المسلمين يؤدى الى فشلهم وانتكاس شوكتهم وضياع عزّتهم ووقوع بأسهم فيما بينهم ، فالاية فى مقام بيان وحدة الصّف ، وهى تفرض على المؤمنين هذه الوحدة سواء فى جبهات القتال والكفاح العسكرى فى مقابل الاعداء الحربيّن ، او فى الجبهات السيّاسيّة والثقافيّة والحرب الباردة والناعمة مع اعداء الدين ، و ينبغى للمؤمنين ان يتحركوا فى صفّ واحد لقوله سبحانه :

---

[٤٥]- لسان العرب .
[٤٦]- المكان المرتفع فى اعتراض .
[٤٧]- مجمع البيان ج٤ /٥٤٨ .

«إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ»[٤٨]

وفی ذیل الآیة یرکز علی الصبر ، وذلک لان الحفاظ علی وحدة الصّف والحلم وتحمّل رأی الآخر وضبط النفس والأعصاب بعدم النزاع من المؤمنین بحاجة الی تهذیب نفس وتصبّر عن المعصیة ، فان التنازع والتشاجر فیما بین المؤمنین من المعاصی الکبیرة التّی نهت عنها مضافاً هذه الآیات ، آیات اخری .

[٤٨] ـ الصف آیه /٤ .

الآية السّابعة

« قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ٦٥ »[٤٩] .

فى هذه الآية انذارات صريحة لجميع المعاندين من الكافرين وغيرهم بانّ عنادهم وانحرافهم عن الحقّ يستتبع انواعاً من العذاب الفوقانى كالحجارة و التحتانى كالخسف و الزلازل ، والعذاب الاجتماعى كالنزاع والتخاصم والتشرذم ، فهذه الحالات تعّد من انواع العذاب الالهى .

قال امين الاسلام الطبرسى فى تفسير الآية ، بعد ذكر المعنى اللغوى لكلمتين من هذه الآية وهى اللبس والشيع :

« لبست عليهم الامر البسه اذا لم يبينه ، وخلطت بعضه ببعض ولبست الثوب البسهُ ، واللبس اختلاط الامر واختلاط الاكرام ولابست الامر خالطته . والشيع الفرق وكل فرقة شيعة على حدة .

... ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الحجج التى حاج به الكافرين ونبّه على الاعذار والانذار فقال : (قل) يا محمد (ص) لهؤلاء الكفار (هو القادر على على أن يبعث) .

اى يرسل (عليكم عذاباً من فوقكم او من تحت ارجلكم) قيل فيه وجوه (احداها) : ان عذاباً من فوقكم عنى به الصحيحة والحجارة والطوفان والريح كما فعل بعاد وثمود وقدم شعيب وقوم لوط او من تحت ارجلكم عنى به الخسف اى من قبل كباركم او من تحت ارجلكم من سفلتكم عن الضحاك (وثالثها) :

ان من فوقكم السلاطين الظلمة ومن تحت ارجلكم العبيد السوء من لا خير فيه .

---

[٤٩]- الانعام /٦٥ .

عن ابن عباس ، وهو المروى عن ابى عبدالله (ع) (او يلبسكم شيعاً) اى يخلطكم فرقاً مختلفى الاهواء لا تكونون شيعة واحدة وقيل هو ان يكلهم الى انفسهم فلا يلطف لهم اللطف الذّى يؤمنون عنده ونحليهم من الطافه بذنوبهم السالفة ، وقيل : عنى به يضرب بعضكم ببعض بما يلقيه بينكم من العداوة والعصبية وهو المروى عن ابى عبدالله (ع) (ويذيق بعضكم رأس بعض) اى قتال بعض وحروب بعض ، ومعناه يقتل بعضكم بعضاً حتى يغنى بعضكم بعضاً كما قال : « ولذلک نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون » وقيل : هو سوء الجوار عن ابى عبدالله (ع) . وقال اليحسن : التهديد بانزال العذاب والخسف يتناول امكار وقوله : (ويلبسكم شيعاً يتناول اهل الصلاة . وقال : قال رسول الله (ص) : سألت ربى أن لا يظهر على امتى اهل دين غيرهم فاعطانى وسألته ان لا يهلكهم جوعاً فأعطانى وسألته ان لا يجمعهم على ضلالة فأعطانى وسألته أن لا يلبسهم شيعاً فمنعنى . وفى تفسير الكلبى : انه لما نزلت هذه الآية ، قام النبى (ص) فتوضأ واسبغ وضوء ثم قام وصلى فأحسن صلوته من تحت ارجلهم ولا يلبسهم شيعاً ولا يذيق بعضهم بأس بعض ، فنزل جبرائيل (ع) فقال : يا محمد (ص) !ر ان الله تعالى سمع مقالتک وانه قد أجارهم من خصلتين ولم يجبرهم من خصلتين . أجارهم من أن يبعث عليهم عذاباً من فوقهم او من تحت ارجلهم ولم يجرهم من الخصلتين الاخريين . فقال (ص) : يا جبرئيل ! ما بقاء امتى مع قتل بعضهم بعضاً ؟ فقام وعاد الى الدّعاء فنزل : ألم أحسب الناس ان يتركوا أن يقولوا آمنّا وهو لا يفتنون الآيتين . فقال : لابد من فتنة تبتلى بها الامّة بعد نبيّها ليتبيّن الصادق من الكاذب لان الوحى انقطع وبقى السيف وافتراق الحكمة الى يوم القيامة .

وفى الخبر انه صلى الله عليه وآله قال : اذا وضع السيف فى امتّى لم يرفع عنها الى يوم القيامة وقال ابى بن تعب : سيكون فى هذه الامة بين يدى الساعة خسف وقذف ومسخ»[٥٠]

[٥٠] ـ مجمع البيان ج٤ /٣٤ ـ ٣٥ .

الاية الثامنة :

« وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ »[٥١] .

فى هاتين الآيتين امر باصلاح المؤمنين فيما بينهم بعد وقوع الخلاف والتشاجر او القتال وهذا من اجل إزالة عوامل الخلاف وتركيز على الطائفتين التين يتبحر الخلاف والتشاجر بينئهما الى القتال فيجب على الآخرين التدخل فيما بينهما باصلاح ذات بينهما وان بغت احديهما على الاخريفينبغى قتال الفئة الباغية من اجل اقتلاع جذور الفتنة والنار والخلاف فان الفئة الباغية تشكل غدّة سرطانية فى المجتمع يخاف على المجتمع الدّمار فيما اذا انتشرت بينه ولا يمكن التّسامح فى ذلک . ويستمّر القتال مع الفئة الباغية الى أن تفى الى أمر الله وهو اصلاح ذات البين واشباع اوامر ولىّ الامر برعاية الحدود الشرعيّة الالهية .

وفى الآية الثانية يؤكد ضرورة الاصلاح بتعليل ان المؤمنين تجمعهم الأخوة الايمانية وهى امر اعتبارى اجتماعى شرعى تترتب عليه آثار اجتماعيّة كما يشير الى ذلک ما روى الكلينى فى الكافى باسناده عن علىّ بن عقبة عن أبى عبدالله (ع) قال :

المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله لا يخونه ولا يظلمه ولا يغشه ولا يعده عدة فيخلفه »[٥٢]

---

[٥١] ـ الحجرات /٩ ـ ١٠ .
[٥٢] ـ الميزان فى تفسير القرآن ج١٨ /٣٤٧ .

كما أن الآية الثانية اشارة الى أن وجوب الاصلاح لا ينحصر فيما اذا كان الخلاف بين طائفتين حصل القتال بينهما ، بل حتى فيما اذا كان فيما بين نفرين وكان الخلاف بجدّ التّشاجّر والتّساب او دون ذلک ، فيجب الاصلاح من منطق ان المؤمنين اخوة ولا يجوز تعكير الأجواء الصافية الايمانية واذا عكّرت فيجب المبادرة الى ازالة ما يعكّر تلک الاجواء باصلاح ذات البين .

وقد كرّر الامر باصلاح ذات البين فى آيات اخر مقل قوله سبحانه :

« يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ »[٥٣] .

وقوله سبحانه :

« إن امراة خافت من بعلها نشوذاً او إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينها صلحاً والصّلح خير وأحضرت الأنفس الشّحّ وان تحسنوا وتتقّوا فانّ الله بما تعملون خبيراً .»[٥٤]

[٥٣] ـ الانفال / ١ .
[٥٤] ـ النساء / ١٢٨ .

الوحدة الاسلاميّة فى السّنّة الشّريفة

بعد أن عرفنا اطروحة الوحدة الاسلامية فى ضوء الآيات القرآنية ، ينبغى اكمال البحث فى ضوء السنّة الشريفة . والسنّة الشريفة مملوءة بابعاد هذا البحث الهام ، بحيث ويمكن ان يقام بتصنيف كتاب خاص بهذا الموضوع يحتوى على مآت الاحاديث المرويّة عن الرسول (ص) وعترته الطّاهرة من طرق الفريقين . قد قام بعض الفضلاء [٥٥] بذلک وذكر حوالى ۴۵۷ حديثاً فى كتابه وجعلها فى سبعة ابواب ، وفى كل باب عدّة فصول . والابواب والفصول ترتبط بابعاد الوحدة وفروعاتها . ونحن نذكر هنا من كل فصل نموذجين من الاحاديث احديهما من طرق الشيعة والآخر من طرق اهل السنة ليتبيّن وحدة الاتجاه فى طرق الفريقين .

الباب الاوّل : المبانى العامّة للتّمسّک بالوحدة ونبذالفُرقة

ويشتمل هذا الباب على قسمين : الاوّل : ضرورة اشاعة الوحدة ولزوم الجماعة .

الثانى : ضرورة الاجتناب عن الفرقة واصناف عواملها . والقسم الاوّل يشتمل على فصول .

الفصل الاول : ان الدين واحد لا اختلاف فية

١ـ قتادة فى تفسير قوله تعالى : «لكّل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً » قال : الدين واحد و الشريعة مختلفة »[٥٦] .

٢ـ عبدالمؤمن الانصارى عن الامام الصادق (ع) : سألته أن قوماً رووا : أنّ رسول الله (ص) قال : « انّ اختلاف امتّى رحمة » قال : « صدقوا » قلت : إن كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب ؟

[٥٥] ـ وهو السيد شهاب الدين فى كتابه « الوحدة الاسلاميّة فى الاحاديث المشتركة بين السنّة والشيعة » طبع المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الاسلامية ، طهران ، ١٤٢٨ ه] ـ ٢٠٠٧ م .
[٥٦] ـ جامع البيان ، الطبرى ٣٦٥/٦ ضمن تفسير الآية ٤٨ من سورةالمائدة .

قال :« ليس حيث ذهبت وذهبوا ، انّما اراد قول الله عزّوجل : فلو لا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة...» فأمرهم أن ينفروا الى رسول الله (ص) ، ويختلفوا اليه ، فيتعلموا ، ثم يرجعوا الى قومهم فيعلّموهم ، انّما أراد اختلافهم من البلدان ، لا اختلافاً فى دين الله ، انّما الدّين واحد »[٥٧] .

[٥٧] ـ ميزان الحكمة ١/ ٧٦٥ .

الفصل الثانى : وجوب التمسک بالوحدة ولزوم الجماعة

٣ـ رسول الله (ص) ، انه قال : « ايّها الناس عليكم بالجماعة وايّاكم والفرقة »[٥٨] .

٤ـ على (ع) ، انّه قال رسول الله (ص) : اوصى أمتّى بخمس . بالسمع والطاعة والهجرة والجهاد والجماعة ومن دعا بدعاء الجاهلية فله جثوة من جُثى جهنم »[٥٩] .

الفصل الثالث : انّ الوحدة ولزوم الجماعة سهم من سهام الاسلام .

٥ـ رسول الله (ص) قال : « أنا من جبرائيل فقال : يا محمد الاسلام عشرة أسهم ، وخاب من لا سهم له ، اوّلها : شهادة أن لا اله الّا الله ، والثانى : الصلاة ، الى أن قال : والتاسع الجماعة ، وهى الإلفة ، والعاشرة : الطاعة وهى العصمة .»[٦٠]

الفصل الرابع الاعتصام بحبل الله هو لزوم الجماعة

٧ـ ابن عباس : انه قال لسمّاک الحنفى : يا حنفى ، الجماعة الجماعة ، فانّما هلک الامم الخالية لتفرّقها ، أما سمعت الله عزوجل يقول : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » [٦١]

٨ـ عبدالرحمن بن الحجّاج قال : بعث الىّ ابوالحسن موسى بن جعفر (ع) بوصية اميرالمؤمنين (ع) ، وهى « بسم الله الرحمن الرحيم ... الى أن قال : ولا تموتنّ الّا وانتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله

---

[٥٨] ـ كنزالعمال ٢٦/١ ، حديث ١٠٢٨ .
[٥٩] ـ بحار الانوار ٦ /٤٠٣ ضمن حديث ١٠٥ .
[٦٠] ـ كنزالعمال ١ /٢٩ ، حديث ٣١ .
[٦١] ـ بحار الانوار ٦٥ /٣٨٠ حديث ٣٠ .

جميعاً ولا تفرقوا ، فانّى سمعت رسول الله (ص) يقول : اصلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصيام » [٦٢] .

الفصل الخامس ان فى الجماعة خيراً ولو فى المكروه

٩ـ ابن مسعود قال : « الزموا هذه الطّاعة والجماعة ، فانّه حبل الله الذّى امربه ، وأن ما تكرهون فى الجماعة خير ممّا تحبّون فى الفرقة »[٦٣] .

١٠ ـ الامام على (ع) فى خطبة له : « فايّاكم و التّلوّن فى دين ، فانّ جماعة فيما تكرهون من الحق خير من فرقة فيما تحبّون من الباطل ، وأن الله سبحانه لم يعط أحداً بفرقة خيراً مضى ولا ممّن بقى»[٦٤] .

الفصل السادس انّ البركة فى الاجتماع حتّى فى الطعام

١١ـ حبشى بن حرب : انهم قالوا : يارسول الله ، انّا نأكل ولا نشبع ! قال : « فلعلّكم تأكلون متفرّقين ؟ » قالوا : نعم ، قال : « فاجتمعوا على طعامكم ، واذكروا اسم الله عليه يبارک لكم فيه »[٦٥]

١٢ ـ رسول الله (ص) ، انّه قا : « كلوا جميعاً ، ولا تفرقوا ، فانّ البركة فى الجماعة »[٦٦] .

---

[٦٢] الكافى ٧ /٥١ ـ حديث ٧ .
[٦٣] ـ المصنّف لابن ابى شيبة ٨ /٦٢٧ .
[٦٤] ـ نهج البلاغة ، الخطبة ١٧٧ .
[٦٥] ـ نضرة النعيم ٢ / ٤٦ .
[٦٦] ـ بحار الانوار ٥٩ / ٢٩١ ، باب النوادر .

القسم الثانى ضرورة الاجتناب عن الفرقة واصناف عواملها

ويشتمل على اربعة فصول :

الفصل الاول النهى عن الفرقة وانّها من الكبائر

١٣ ـ رسول الله (ص) انّه قال : « إن الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ الشاة الشاذّة والقاصية والناحية ، فعليكم بالجماعة و الأُلفة والعامة والمساجد ، وايّاكم والشّعاب »[٦٧]

١٤ ـ الامام الحسين (ع) فى رسالة بعثها الى اشراف البصرة :

« أمّا بعد فإنّ الله اصطفى محمّداً (ص) على خلفة ، وأكرمه بنبوتة ، واختاره لرسالته ، ثمّ قبضه الله اليه ، وقد نصح لعباده وبلّغ ما أرسل به (ص) ، وكنّا أهله واولياءه ، واوصياءه وورثته ، وأحقّ النّاس بمقامه فى النّاس ، فاستأثر علينا قومنا بذلک ، فرضينا وكرهنا الفرقة ، واحببنا العافية ...»[٦٨]

الفصل الثانى عدم جواز الفرقة ولو بشبر واحد

١٥ـ ابن عبّاس عن رسول الله (ص) انّه قال : « من فارق المسلمين قدر شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه »[٦٩] .

١٦ ـ محمد بن على عن أبى عبدالله الصادق (ع) : « من خلع جماعة المسلمين قدر شبر خلع ربقة الإيمان من عنقه »[٧٠] .

الفصل الثالث النهى عن العداوة والتباعض والتقاطع والتدابر

---

[٦٧] ـ كنزالعمال ٢٠٦/١ ، حديث ١٠٢٧ .
[٦٨] ـ كلمات الامام الحسين (ع) /٣١٥ .
[٦٩] ـ كنزالعمال ١ /٢٠٧ ، حديث ١٠٣٥ .
[٧٠] ـ بحار الانوار ٨٥ /١٣ ، حديث ٢٣ .

١٧ ـ رسول الله (ص) انه قال فى حديث : « لا تحاسدوا ولا تنافسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عبيد الله إخواناً »[٧١] .

الفصل الرابع ذم الخروج عن الجماعة

١٩ـ فضالة بن عبيد ، قال : قال رسول الله (ص) : « ثلاثة لا تسأل عنهم ، رجل فارق الجماعة وعصى امامه ومات عاصياً ، وأمة او عبد أبق فمات ، وامرأة غاب عنها زوجها قد كفاها مؤونة الدنيا فتبّرجنّ بعده ، فلا نسأل عنهم» [٧٢] .

٢٠ ـ رسول الله (ص) : « أربعة ليست غيبتهم غيبة ... الى أن قال : والخارج عن الجماعة الطّاعن على أمتى ، الشّاهر عليهم بسيفه»[٧٣] .

الباب الثانى عناصر قيمومة الوحدة بين المسلمين

الفصل الاوّل تعريف المسلم وهل يجوز تكفيرة؟

٢١ ـ أنس بن مالک قال : قال رسول الله (ص) : « من صلّى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فذلک المسلم »[٧٤] .

٢٢ـ الامام على (ع) قال : قال رسول الله (ص) : إن الله تبارک وتعالى جعل الاسلام زينة وجعل كلمة الاخلاص حصناً للدماء ، فمن استقبل قبلتنا ، وشهد شهادتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فهو المسلم ، له ما لنا وعليه ما علينا »[٧٥] .

---

[٧١] ـ مسند احمد ٣١٢/٢ .
[٧٢] ـ مسند احمد ٦ / ١٩ .
[٧٣] ـ مستدرک سفينة البحار ٨ / ٨٩ .
[٧٤] ـ سنن النّسائى ٨ /١٠٥ .
[٧٥] ـ مستدرک الوسائل ١١/ ح ١ ، حديث ١ .

الفصل الثانى الناطق بالشهادتين: تعنى حرمة ماله ودمه ، وتوجب دخول الجنة.

٢٣ ـ ابو مالک عن ابيه قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : « من قال : لا اله إلّا الله ، وكفر بما يعبدون من دون الله ، حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله »[٧٦]

٢٤ ـ جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عن آبائه (ع) أن رسول الله (ص) قال : « لقنّوا امواتكم لا الله الّا الله ، فإن من كان آخر كلامه لا اله الّا الله دخل الجنّة »[٧٧]

الفصل الثالث الألفة : حرمة هجر المسلم أخاه المسلم

٢٥ـ أنس بن مالک قال : قال رسول الله (ص) : « لا تقاطعوا ولا تدابروا لا تباغضوا ولا تحاسدوا ، وكونوا عبادالله اخواناً ، ولا يحلّ لمسلم أن يهجر آخاه فوق ثلاث »[٧٨]

٢٦ ـ مرازم قال : قال ابو عبدالله الصادق (ع) : عليكم بالصلاة فى المساجد ، وحسن الجوار للناس ، واقامة الشهادة ، وحضور الجنائز ، انّه لابدّ لكم من الناس ، إنّ أحداً لا يستغنى عن الناس فى حياته ، والناس لابدّ لبعضه من بعض »[٧٩]

٢٧ ـ معاوية بن وهب قال : قلت له لراى الصادق (ع) : كيف ينبغى أن نصنع فيما بيننا و بين قومنا وبين خلطائنا من الناس ، ومن ليسوا على أمرنا ؟ فقال (ع) : « تنظرون إلى ائمّتكم الذين تعتقدون بهم فتصنعون ما يصنعون ، فوالله انّهم ليعودون مرضاهم ويشهدون جنائزهم ، ، ويقيمون الشهادة لهم وعليهم ، ويؤدّون الامانة اليهم »[٨٠] .

---

[٧٦] ـ صحيح مسلم ١ /٤٠ .
[٧٧] ـ وسائل الشيعة ٤٥٦/٢ ، حديث ٩٢ .
[٧٨] ـ صحيح مسلم ٨ /٨ .
[٧٩] ـ وسائل الشيعة ١٢ /٦ ح /٦ .
[٨٠] ـ المصدر حديث ٣ .

الفصل الرّابع المودّة : لزوم محبّة المسلم لاخيه المسلم

٢٨ـ الزبير بن العوام قال : قال رسول الله (ص) : « ... لا تدخلوا الجنّة حتّى تؤمنوا حتّى تحابّوا »[٨١]

٢٩ ـ الإمام السجّاد (ع) : « وحق اهل ملّتک : إضمار السلامة والرحمة لهم ، والرفق بمسيئهم ، وتألفهم واستصلاحهم ، وشكر محسنهم ، وكفّ الأذى عنهم ، وتحبّ لهم ما تحبّ لنفسک ، وتكره لهم ما تكره لنفسک ، وأن تكون شيوخهم بمنزلة أبيک ، وشبابهم بمنزلة إخوتک ، وعجائزهم بمنزلة أمّک، والصغّار بمنزلة أولادک »[٨٢]

الفصل الخامس احترام الآخر : حرمة المسلم من أعظم الحرمات

٣٠ـ ابوالدرداء وأبو أمامه و واثلة بن الأسقع وأنس بن مالک، قالوا : خرج رسول الله (ص) يوماً علينا ونحن نتمارى فى شئ من أمرالدين ، فغضب غضباً شديداً لم يغضب مثله ثم انتهرنا فقال : « من لم يمارِ فى دين الله ، ومن لم يكفّر أحداً من أهل التوحيد بذنب ، غُفر له » ، ثم قال : « إن الاسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً » . قالوا يا رسول الله ! ومن الغرباء ؟ قال : « الذّين يصلحون إذا فسد الناس ، و لا يمارون فى دين الله ، ولا يكفّرون أحداً من أهل التوحيد بذنب[٨٣] .

٣١ ـ الامام على (ع) : « إنّ الله ... فضل حرمة المسلم على الحرم كلهّا .. »[٨٤] .

الفصل السادس اكرام الآخر : حرمة اهانة المسلم لاخيه المسلم

٣٢ ـ ابن عمر عن رسول الله (ص) : « من اكرم أخاه فانّما يكرم الله »[٨٥]

---

[٨١] ـ سنن الترمذى ٤ /٧٤ ـ حديث ٢٦٢٨ .
[٨٢] الخصال ، ٢ /٥٧ .
[٨٣] ـ مجمع الزوائد ٢٥٩/٧ .
[٨٤] ـ نهج البلاغةالخطبة ١٦٧ .
[٨٥] ـ كنز العمال ١٥٤/٩ ، حديث ٢٥٤٨٨ .

٣٣ ـ رسول الله (ص) انه قال : « من اكرم أخاه المسلم بكلمة يلطفه لها ، وفرّج عنه كربته ، لم يزل فى ظلّ الله الممدود عليه الرحمة ما كان فى ذلک »[٨٦] .

الفصل السّابع الرحمة للآخرين : حرمة ظلم المسلم لاخيه المسلم

٣٤ ـ عياض بن حماد المجاشعى : أنّ رسول الله (ص) قال ذات يوم فى خطبة : وأهل الجنّة ثلاثة : ذوسلطان مقسط متصدّق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكلّ ذى قربى ومسلم ، وعفيف متعففّ ذو عيال »[٨٧] .

٣٥ ـ رسول الله (ص) انه قا : « ألا أخبركم بأشبهكم بى ؟ قالوا : بلى يارسول الله ! قال : أحسنكم خلقاً ، وألينكم كنفاً ، وأبركم بقرابته ، وأشدّكم حبّاً لاخوانه فى دينه ... » [٨٨] .

الفصل الثامن معونة المسلم : ضرورة الاهتمام بأمور المسلمين

٣٦ ـ عبدالله بن عمرو ، قال : قال رسول الله (ص) : من أطعم أخاه حتى يشبعه ، وسقاه من الماء حتّى يرويه ، باعده الله من النار سبع خنادق ما بين كلّ خندقين خمسمائة عام »[٨٩] .

٣٧ ـ السكونى عن ابى عبدالله (ع) قال : قال رسول الله (ص) : من أصبح لا يهتّم بامور المسلمين فليس بمسلم »[٩٠] .

الفصل التاسع الاحسان الى الاخر : ضرورة الانسجام مع المسلمين

[٨٦] ـ الكافى ٢/ ٢٦ ، حديث ٥ /بحار ٧١ /٣٦ ، حديث ٧٣ .
[٨٧] ـ صحيح مسلم ٨ / ١٥٩ .
[٨٨] ـ الكافى ٢ / ٢٤٠ ، الحديث ٣٥ .
[٨٩] ـ مجمع الزوائد ١٣٠/٣ .
[٩٠] ـ الكافى ١٦٣/٢ .

٣٨ ـ عيسى بن مريم (ع) : « انّما الاحسان ان تحسن الى من أساء اليک ، وليس الإحسان أن تحسن الى من أحسن اليک »[٩١] .

٣٩ ـ الامام الصادق (ع) : « المسلم أخو المسلم ، وحق المسلم على أخيه المسلم أن لا يشبع ويجوع أخوه ، ولا يروى ويعطش أخوه ولا يكتسى ويعرى أخوه ، فما أعظم حق المسلم على اخيه المسلم »[٩٢] .

الفصل العاشر السماحة واللين : ضرورة التفاهم مع الآخرين

٤٠ ـ أنس بن مالک قال : قال رسول الله (ص) : « يسرّوا ولا تعسّروا وسكنّوا ولاتنّفروا »[٩٣] .

٤١ـ عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله (ص) : ألا أخبركم بمن يحرم على النار . وبمن تحرم عليه النار ؟ على كلّ قريب هيّنٍ سهل »[٩٤] .

٤٢ ـ الامام الصادق (ع) قال: « إنّ الله تبارک وتعالى أعطى محمداً (ص) شرائع نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام التوحيد والاخلاص وخلع الانداد والمضراة الحنيفية السمحة »[٩٥] .

الفصل الحادى عشر الرفق ومداراة الآخر : ضرورة الحوار مع اطياف المسلمين

٤٣ـ عائشة قالت : قال رسول الله (ص) إن الله عزوجل رفيق ويحب الرفق فى الامر كلّه »[٩٦] .

٤٤ ـ رسول الله (ص) قا : « إن الله تعالى أمرنى بمداراة النّاس كما امرنى باقامة الفرائض »[٩٧] .

---

[٩١] ـ تفسير ابن كثير ٣ / ٤٣٢ .
[٩٢] ـ بحار الانوار ٧١ / ٢٢١ .
[٩٣] ـ صحيح مسلم ٥ /١٤١ ـ حديث ٢٦٩٩ .
[٩٤] ـ مسند احمد ١/ ٤١٥ .
[٩٥] ـ الكافى ٢ /١٧ حديث ٨ .
[٩٦] ـ سنن الترمذى ٤ /١٦ ، حديث ٢٨٤٤ .
[٩٧] ـ الجامع الصغير ١ / ٢٥١ .

٤٥ ـ الامام ابومحمد العسكرى (ع) فى قوله تعالى : « وقولوا للنّاى حسناً » قال : الصادق (ع) : قولوا للناس كلّهم حسناً ، مؤمنهم ومخالفهم ، أما المؤمنون فيبسط لهم وجهه ، وأمّا المخالفون فيكلمهم بالمداراة لاجتذابهم الى الايمان ، فان استتر من ذلک يكفّ شرورهم عن نفسه وعن اخوانه المؤمنين » وقال : « انّ مدارة اعداء الله من أفضل صدقة المرء على نفسه واخوانه . كان رسول الله (ص) فى منزله إذ استأذن عليه عبدالله بن أبىّ بن أبى سلول ، فقال رسول الله (ص) : بئس اخو العشيرة ، ائذنواله ، فأذنواله ، فلمّا دخل أجلسه وبشر فى وجهه»[٩٨] .

الفصل الثانى عشر الانبساط مع الاخر : لزوم التلاحم مع باقى المسلمين

٤٦ ـ ابوذّر رضى الل عنه قال : قال رسول الله (ص) : « تبسّمک فى وجه اخيک لک صدقة »[٩٩]

٤٧ ـ الامام الباقر (ع) قال : « أتى رسول الله (ص) رجل فقال : يا رسول الله أوصنى ، فكان فيما اوصاه أن قال : إلق اخاک بوجهٍ منبسط »[١٠٠]

الفصل الثالث العشر حسن الظنّ بالآخر : ضرورة التكاتف مع جميع المسلمين

٤٨ ـ ابو هريرة قال : قال رسول الله (ص) : « إياكم والظّن فإن الظّن اكذب الحديث ، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ، ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ، ولا تباعضوا ولا تدابروا ، وكونوا عبادالله اخواناً»[١٠١]

٤٩ ـ ابن عمر قال : رأيت النبى (ص) يطوف بالكعبة ويقول : « ما أطيبک وأطيب ريحک ! ما أعظمک وأعظم حرمتک ! والذى نفس محمد (ص) بيده ، لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منک : ما له ودمه ، وان يظن به الّاخيراً »[١٠٢] .

---

[٩٨] ـ التفسير المنسوب الى الامام العسكرى (ع) /٣٥٣ فى تفسير الآية ٨٣ من البقرة .
[٩٩] ـ سنن الترمذى ٣ /٢٢٨ ـ ح١٩٥٦ .
[١٠٠] ـ الكافى ٢ / ١٠٣ ـ ح٣ .
[١٠١] ـ صحيح البخارى ٧ /٨٩ .

٥٠ ـ رسول الله (ص) قال : إن الله تعالى حرّم من المسلم دمه وماله ، وأن يظن به ظنّ السوء »[١٠٣]

٥١ ـ مسعدة بن زياد قال : حدثنى جعفر عن ابيه (ع) : أن النبى (ص) قال : اياكم والظن فان الظن اكذب الكذب ، وكونوا اخواناً فى الله كما امركم الله ، لا تتنافروا ولا تجسّسوا ، ولا تتفاحشوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ، ولا تتنازعوا ولا تتباغضوا ولا تتدابروا ولا تتحاسدوا ، فإنّ الحسد يأكل الايمان كما تأكل النار الحطب اليابس »[١٠٤] .

الفصل الرابع عشر النصيحة والقول الحسن للآخر : ضرورة التعايش السلمى

٥٢ ـ حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله (ص) « من لا يهتمّ بأمر المسلمين فليس منهم ، ومن لم يصبح ويمس ناصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامّة المسلمين فليس منهم »[١٠٥]

٥٣ـ الامام ابو محمد العسكرى (ع) فى قوله عزوجل : ن وقولوا للناس حسناً » : قال الصادق (ع) : وقولوا للناس كلهم ، مؤمنهم ومخالفهم »[١٠٦] .

٥٤ ـ عبدالله بن سنان عن أبى عبدالله الصادق (ع) : قال « اتقوا الله ولا تحملوا الناس على أكنافكم ، إن يقول فى كتابه : « وقولوا للناس حسناً » قال : وعودوا مرضاهم ، واشهدوا جنائزهم ، وصلّوا معهم فى مساجدهم حتّى ينقطع النفس وحتّى تكون الميانية »[١٠٧] .

الفصل الخامس عشر اصلاح ذات البين : لزوم ترميم العلاقات بين المسلمين

---

[١٠٢] ـ الدر المنثور ٦ /٩٢ .
[١٠٣] ـ بحار الانوار ٧٢ / ٢٠١ ـ حديث ٢١ .
[١٠٤] ـ جامع احاديث الشيعة ١٧ / ١٢٨ ، ١٢٨ ح ٣ .
[١٠٥] ـ المعجم الاوسط ٧ /٢٧٠ ـ المعجم الصغير ٢ /٥٠ .
[١٠٦] ـ التفسير المنسوب الى الامام العسكرى (ع) /٣٥٣ .
[١٠٧] ـ تفسير العياشى ٤٨/١ ـ حديث ٦٥ .

٥٦ـ ابو أيوب ، قال : قال رسول الله (ص) : « يا أبا ايوب ، ألا أدلک على صدقة يحبّها الله ورسوله ؟ » قلت : بلى يا رسول الله ، قال : « تصلح بين الناس إذا تَفاسدوا »[١٠٨] .

٥٧ـ الامام الصادق (ع) ، قال : « صدفة يحبها الله ، اصلاح بين الناس إذا تَفاسدوا ، وتقارب اذا تباعدوا »[١٠٩] .

[١٠٨] ـ كشف الاسرار وعدّة الابرار ٩ /٢٥٨ .
[١٠٩] ـ تفسير الصافى ٥/ ٥٢ .

الوحدة الاسلامية فى سيرة الائمة الاطهار (ع)

إن ممّا يستدلّ به على شرعية لزوم رعاية الوحدة الاسلامية ، هى سيرة الائمة الاطهار (ع) . إن المتتبع لسيرتهم يرى بوضوح اهتمام الائمة (ع) بمراعاة الوحدة الاسلامية وتقريب الرؤى المختلفة بين علماء المسلمين بعضها مع بعض ، وذلک لانّ رسالة الائمة (ع) الكبرى هى الحفاظ على اصل الاسلام واستمراره ، وحيث ان هذا الامر يكون معرضاً بالخطر من قبل اعداء الاسلام فيما اذا ظهرت المشاجرات ونشبت الحروب الدّاخلية فيما بين المسلمين ، لذلک نرى الائمة يقفون موقف الإصلاح ومراعاة الوحدة الشكلية اى وحدة الصّف ويهادنون القوى الحاكمة وان انتهى ذلک الى ضياع حقوقهم وانتهاک حرماتهم وحرمانهم من كثير من المزايا السيّاسيّة والاقتصادية والفرديّة . وانمّا يقومون بذلک تضحية بانفسهم و نفائسهم وحتّى اعراضهم فداءً للاسلام .

وهذه السّيرة واضحة معالمها فيما بين ايدينا وقد حفل بها التّايخ الاسلامى ، حتّى الذى كتبه اقلام عملاء السلطة فضلاً عما كتبه اقلام الاحرار .

واليكم الآن نماذج من سيرة الائمة الاطهار (ع) حول الوحدة والتقريب بين المذاهب الاسلامية .

الوحدة الاسلامية فى سيرة امير المؤمنين (ع)

إن امير المؤمنين على بن ابى طالب(ع) هو سيّد الوصييّن واوّل ائمة الشيعة الذى تصدّى للامامة الكبرى بعد رسول الله (ص) كخليفة شرعىّ منصوب من قبل الله وقد بايعه المسلمون فى غديرخم بامرة المؤمنين (ع) بامر من رسول الله (ص) ، تعرّض لظروف قاسية للغاية ، وذلک لأن اكثرية الامّة نكثت تلک البيعة لعوامل[١١٠] ليس هذا المجال مناسباً للتعرض لها ـ فاقصى عن الخلافة لمدة ربع قرن ، بعد أن هجم على على داره وقيد مكتوفاً الى المسجد واعتدى على حريمه وقتلت زوجته

[١١٠] ـ راجع كتابنا « جذور الانقلاب على الاعقاب » .

واسقط جنينها وغصبت منها ارض فدک ، وكان يرى الخلافة تراثاً له قد نهب ، ومع ذلک صبر على مضض تجاه تلک الاحداث المريعة وقد اشار الى ذلک فى صدر الخطبة الشقشقيّة بقوله :

« أما و الله لقد تقمصّها فلان وانّه ليعلم أن محلّى منها محلّ القطب من الرحا . ينحدر عنّى السّيل ، ولا يرقى الىّ الطيّر ، فسألت دونها ثوباً ، وطويت عنها كشحاً ، وطفقت ارتئى بين أن اصول بيد جذّاء ، أو اصبر على طخية عمياء ، يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصّغير ، ويكدح فيها مؤمن حتّى يلقى ربّه !

فرأيت أنّ الصبّر على هاتا أحجى ، فصبرتُ وفى العين قذى ، وفى الحلق شجاً ، أرى تراثى نهباً...»[١١١] .

محاولات اميرالمؤمنين (ع) فى اثبات حقّه

إن امير المؤمنين (ع) سكت عن الصّولة وتدشين الثورة العسكرية ضدّ سلطة الخلفاء حفاظاً على الوحدة الاسلامية ، ولكنه لم يسكت مطلقاً ولو عن تبيين حقه للمجتمع واثبات ذلک الانحراف ، وامتنع عن البيعة حتّى مع جلبه كالجمل المخشوش ، على حدّ تعبير خصمه معاوية ، وتهديده بالقتل . وقد احتجّ على القوم فى عدَة مواقع بعد السقيفة وحين الشورى السداسيّة وقبلها وبعدها . وقد استنجد بالمهاجرين والانصار على مطالبة حقّة ، ولو قام(ع) بالسيف لكان الناس والتاريخ يعذرونه ، لانّه كان يطالب عن حق ثابت له ، ومع ذلک ، فقد عدل عن هذا الاسلوب واكتفى بالمعارضة السلميّة .

[١١١] ـ نهج البلاغة ، الخطبة ٣ .

اسباب عدم نهوض الامام على (ع) بالسّيف

قد سجّل التّاريخ ان الامام اميرالمؤمنين (ع) لم ينهض بالسّيف دفاعاً عن حقّه من اجل استرجاع الخلافة المغصوبة وسائر الحقوق المهدورة ، بل حتّى لم يقم لطلب ثأر زوجته المضطهدة ومحسنه السقط ، وذلک لانّه ما كان يرى النهوض بالسّيف وشقّ عصا المسلمين يخدمان الاسلام والمسلمين ، بل كان يراهما فى صالح اعداء الاسلام . وذلک لان الاسلام كان له اعداء كثيرون من المشركين والمنافقين واليهود والنصارى والامبراطوريتن الكبيريتين ، الرّوم والفرس ، وكانوا يتربصون بالاسلام الدّوائر ، فلو قام بالسيف لقتل هو واهل بيته وخيرة اصحابه و لم ينجوا من تلک الحروب الدّاخلية ، ولقام اعداء الاسلام بشنّ الحروب من الخارج ، ولم يكن بامكان المسلمين دفع تلک الهجمات الاجنبيّة ، فكان الخطر يحدق بالاسلام من جميع الجوانب .

وقد اشار الى تلک الاخطار مضافاً الى قلّة الناصر فى عدة مواضع ، منها :

١ـ ما ذكرناه من الخطبة الشقشقيّة .

٢ـ ما قاله فى التّظلم والتّشكّى من قريش :

« اللهم انّى استعديک على قريش ومن أعانهم ، فانهم قد قطعوا رحمى واكفوؤا إنائى ، وأجمعوا على منازعتى حقاً كنت اولى به من غيرى ، وقالوا : ألا إنّ فى الحق أن تأخذه ، وفى الحقّ أن تمنعه ، فاصبر مغموماً ، أومت متأسفاً ، فنظرت فاذا ليس لى رافد ، ولا ذاب ولا مساعد ، إلا اهل بيتى ، فضنت بهم عن المنيّة ، فأغضيت على القذى ، وجرعتُ ريقى على الشّجا ، وصبرت من كظم الغيظ على أمرَّ من العلقم ، وآلم للقلب من وَ خز الشّفار»[١١٢] .

[١١٢]- نهج البلاغة ، الخطبة /٢١٧ .

٣ـ ما قاله (ع) لمّا قبض رسول الله (ص) وخاطبه العباس وابوسفيان ابن حرب فى أن يبايعا له بالخلافة (وذلک بعد أن تمّت البيعة لأبى بكر فى السقيفة ، وفيها ينهى عن الفتنة ويبيّن عن خلقه وعلمه :

« ايها النّاس ، شقوا امواج الفتن بسفن النّجاة ،وعرّجوا عن طريق المنافرة ، وضعوا تيجان المفاخرة . أفلح من نهض بجناح ، او استسلم فأراح . هذا ماء آجن ، ولقمة يغصّ بها آكلها . ومجتنى الثّمرة لغير وقت ايناعها كالزّارع بغير ارضه .

فان اقل ، يقولوا : حرص على الملک ، وإن اسكت ، يقولوا : جزع من الموت ! هيهات بعد اللتيّا والتّى ! والله لابن أبى طالب آنس بالموت من الطّفل بثدى أمه ، بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية فى الطّوىِ البعيدة »[١١٣] .

٤ـ مواجهته لابى سفيان حينما جاء الى المدينة بعد وفاة رسو ل الله (ص) وقد تمت البيعة لابى بكر والتقى بعلى (ع) يحرّضه على القيام باسترجاع حقّه .

ولا ريب ان ابا سفيان كان قائد قريش فى اكثر حروبها ضد الاسلام ، ولم يؤمن حقيقة . ولكنه اضطر الى ذلک فى فتح مكة . وكان يتربص الفرص للوقيعة بالاسلام ، ورأى أنّ وفاة الرسول (ص) تلک الفرصة المؤاتية لايقاع الخلاف بين المسلمين حول الخلافة واصطياد السّمک من ذلک الماء العكر . وقد قام بذلک المخطط بعد وفاة الرسول (ص) ، الّا ان امير المؤمنين (ع) بموقفه الحكيم قد احبط مخططه الشّيطانى .

روى ابن ابى الحديد المعتزلى ، وقال : « كان النبى (ص) قد بعث أبا سفيان ساعياً فرجع من سعايته وقد مات رسول الله (ص) فلقيه القوم ، فسألهم ، فقالوا : مات رسول الله (ص) ، فقال : من ولى بعده

[١١٣]ـ المصدر ، الخطبة ٥ .

؟ قيل : ابوبكر . قال : ابو فضيل ! قالوا : نعم . قال : فما فعل المستضعفان علىّ والعباس ؟ أما والذى نفسى بيده لارفعّن لهما من أعضادهما . قال ابوبكر احمد بن عبدالعزيز وذكر الراوى وهو جعفر بن سليمان ، أن اباسفيان قال شيئاً آخر لم تحفظه الرواة . فلمّا قدم المدينة ، قال : انّى لأرى عجاجة لايطفئها الّا الدم ... الى ان قال : جاء ابوسفيان الى على (ع) فقال : وليتم على هذا الامر أذّل بيت فى قريش . أما والله لئن شئت لأملأنها على أبى فضيل خيلاً ورجلاً . فقال على (ع) : طالما غششت الاسلام وأهله فما أحرزتم شيئاً ، لا حاجة لنا الى خيلک ورجلک ...»[١١٤]

وجاء فى رواية اخرى :

« فقال على (ع) لابى سفيان : انک تريد أمراً لسنا من اصحابه ، وقد عهد الى رسول الله (ص) عهداً فاننا عليه ، فتركه ابوسفيان وعدل الى العباس بن عبدالمطلب فى منزله ، فقال : يا أباالفضل أنت لها أهل وأحق بميراث ابن اخيک . امدد يدک لابايعک ، فلا يختلف عليک الناس بعد بيعتى ايّاک ، فضحک العباس وقال : يا أبا سفيان ! يدفعها علىّ و يطلبها العباس!

فرجع ابوسفيان خائباً .»[١١٥] .

ولما فشل ابوسفيان فى مخطّطه استغل اصحاب السّقيفة الفرصة لجذب ابى سفيان اليهم ، وقد شروه بدفع ما جاء به من الزكاة اليه .

قال الرواة بعد مقالة ابى سفيان التحريضية ضدّ اصحاب السقيفة ، « فكلّم عمر أبابكر ، فقال : انّ اباسفيان قد قدم وانّا لا نأمن شرّه فادفع له ما فى يده ، فتركه ، فرضى ...»[١١٦]

---

[١١٤] ـ شرح نهج البلاغة ، ابن ابى الحديد مجلد ص ١٣٠ فى شرح الخطبة ٢٦ .
[١١٥] ـ المصدر ج٢ /فى شرح الخطبة ٦٧ .
[١١٦] ـ المصدر ج ١ / ١٣٠ .

٥ـ ما أشار اليه فى رسالته الى اهل مصر ، مع مالک الاشتر لمّا ولاه إمارتها

أمَّا بعدُ ، فَإن الله سبحانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نَذِيراً لِلعالمين ، وَمُهَيمِناً عَلى المُرسلين . فَلَّما مضى (ع) تنازع المُسلمون الامر من بعده . فوالله ما كان يلقى فى رُوعى وَ لا يَخطُرُ بِبالى ، أنَّ العَرَب تُزعج هذا الامر من بعده (ص) عَن أهل بيته ، ولا أنَّهم مُنحُّه عَنّى مِن بَعدِهِ ! فَما راعَنى إلّا انثيالُ الناس عَلى فُلان يُبايعونه ، فَأمسكتُ يَدِى حَتَّى رَأيت راجعة النّاس قد رجعت عن الاسلام يدعون الى مَحقِ دَينِ محمد ـ صلى الله عليه واله وسلم ـ فَخَشيت إن لم أنصُر الإسلام وَأهله أن أرى فيه ثلماً أو هَدماً ، تكون المُصيبة بِهِ عَلَىَّ أعظم من فَوت ولايَتكم الّتِى إنما هى متاع أيام قلائل ، يزول منها ما كان ، كما يزول السّراب ، أو كَما يتَقَشّع السّحاب ؛ فنهضت فى تلک الاحداث حتّى زاح الباطلُ وزَهَقَ ، وَ اطمَأنَّ الدِّينُ وَ تَنَهنَهَ .

يشير اميرالمؤمنين (ع) فى هذه الرسالة الى حروب الرّدّة التّى اشتدت بعد وفاة رسول الله ، وان كان الارتداد من طليحة بن خالد و العنسى ومسيلمة قد حدث فى زمان رسول الله (ص) ، وان تلک الأحداث الزمت علياً (ع) بان يسكت عن القيام باسترجاع حقّه ، لان النهوض بذلک يستلزم النزاع الدّاخلى والنزاع الداخلى يوجب وهن الاسلام ، الامر الذّى يفرض على اميرالمؤمنين (ع) بمراعاة الوحدة الدّاخلية والتّصدى لدفع هجمات المرتدّين الذين كانوا يريدون هدم اصل الاسلام ، بل ان اميرالمؤمنين (ع) حينما رأى مؤامرة المرتدين للهجوم على المدينة لاجتثاث الاسلام الاسلام بادر للدّفاع بنفسه عن المدينة . وكان خروجه سبباً لخروج جماعة من المهاجرين والانصار للدفاع فى انقاب المدينة ، ولو كان الامام (ع) ساكتاً فى هذه الاحداث لما تمكّن الخليفة من الدّفاع عن المدينة كما يشهد التاريخ بتراجعهم عن المدينة امام هجمات الاعداء ، ولكن القوة الدفاعية التّى كان اميرالمؤمنين (ع) قام بها هى التّى اسندت المسلمين وجعلتهم قادرين على الهجوم ثانياً والقضاء على المرتدين المهاجمين على المدينة و جوعهم ظافرين .

وقد ذكر ابن ابى الحديد تلک الاحداث بقوله :

« وقوله : « فأمسكت بيدى ، اى امتنعت عن بيعته حتى رأيت راجعة الناس ، يعنى اهل الردّة كمسيلمة وسجاح وطليحة بن خويلد و... الى ان قال : « روى ابوجعفر محمد بن جرير الطبرى فى التاريخ الكبير ، ان رسول الله (ص) لما مات ، فأجمعت أسد وغطفان وطى على طليحة بن خويلد ، الّا ما كان من خواص اقوام من الطوائف ، فاجمعت أس بسميرائ وغطفان بجنوب مية وطى فى حدود أرضهم واجتمعت ثعلبة بن أسد ومن يليهم من قيس بالارزف من الربذة وناشت اليهم ناس من بنى كنانة ولم تحملهم البلاد فافترقوا فرقتين أقاما احداهما بالارزف و سات الاخرى الى ذى القصّة وبعثوا فرداً الى ابى بكر يسألونه ان يقارهم على اقامة الصلاة ومنع الزكاة فعزم الله لابى بكر على الحق ، فقال : لو منعونى عفالاً لجاهدتهم عليه ورجع الوفود الى قومهم فأخبروهم بقلّة اهل المدينة فاطمعوهم فيها . وعلم ابوبكر والمسلمون بذلک . وقال لهم ابوبكر : ايها المسلمون ان الارض كافرة وقدو هم منكم قلة وانكم لا تدرون أليلاً تؤتون أم نهاراً وأدناهم منكم على بريد ، وقد كان القوم يأملون أن نقبل منهم ونوادعهم وقد ابينا عليهم ونبذنا اليهم فاستعدوا . فخرج على عليه السلام بنفسه وكان على نقب من انقاب المدينة وخرج الزبير وطلحة وعبدالله بن مسعود وغيرهم فكانوا على الانقاب الثلاثة ، فلم يلبثوا الّا قليلاً حتى طرق القوم المدينة غارة مع اللّيل وحلفوا بعضهم بذى حُساً ليكونوا رداً لهم ، فوافوا الانقاب وعليها المسلمون ، فأرسلوا الى ابى بكر بالخبر ، فارسل اليهم ان الزموا مكانكم ، ففعلوا . وخرج ابوبكر فى جمع من اهل المدينة على النواضح فانتشر العدو بين ايديهم واتبعهم المسلمون على النواضح حتى بلغوا ذا حُسا فخرج عليهم الكمين بانحاء[١١٧] قد نفخوها وجعلوا فيها الحبال ، ثم دهدهوا بارجلهم فى وجوه الابل فتدهده كلّ نَحيٍ منها فى طول فنضرت ابل المسلمين وهم عليها . ولا تنفر الابل من شئ نفارها من الانحاء ،

[١١٧] ـ انحاء جمع النّحى بتثليث النون وهو : « رزقّ السّمن» .

فعاجت بهم لا يملكونها حتّى دخلت بهم المدينة ولم يصرع منهم أحد ولم يصب . وجعل المسلمون تلك اللّيلة يتهيّئون ثم خرجوا على بقية فما طلع الفجر الّا وهم والقوم على صعيد واحد فلم يسمعوا للمسلمين حساً ولا همساً حتّى وضعوا فيهم السيف فاقتتلوا أعجاز ليلتهم ، فما طلع قرن الشمس الّا وقد ولوّا الادبار وغلبوهم على عامة ظهرهم ورجعوا الى المدينة ظافرين .

قلت ، هذا هو الحديث الذى أشار عليه السلام الى أنه نهض فيه ايام ابى بكر ، وكانه جواب عن قول قائل انّه عمل لابى بكر وجاهد بين يدى ابى بكر ، فبيّن عليه السلام عذره فى ذلك ، وقال : انّه لم يكن كما ظنه القائل ولكنه من باب دفع الضرر عن النفس وعن الدين ، فانه واجب سواء كان للناس امام او لم يكن .»[١١٨]

ولا يخفى ان ما ذكره ابن ابى الحديد فى رواية الطبرى من ان عليّاً (ع) خرج بنفسه وكان على نقب من انقاب المدينة يتنافى مع ما جاء فى الطبعة الجديدة لتاريخ الطبرى من انه « جعل ابوبكر بعد ما اخرج الوفد على انقاب المدينة نفراً : علياً والزبير وطلحة وعبدالله بن مسعود » ١١٩ ، والظاهر ان ايادى التحريف قد عملت بتحريف هذا المقطع من تاريخ الطبرى .

٦ـ ما أجاب(ع) به اصحاب الشورى لما عزموا على بيعة عثمان :

« لقد علمتم أنى أحق النّاس بها من غيرى ، ووالله لأسلمن ما سَلمِت امور المسلمين ، ولم يكن فيها جورٌ الّا علىّ خاصّة ، التماساً لأجر ذلك وفضله ، وزهداً فيما تنافستموه من زُخرفه وزِبرِجه »١٢٠ .

٧ـ ما قاله (ع) فى بداية خلافته الظاهرية :

[١١٨] ـ شرح نهج البلاغة ، ابن ابى الحديد ج٤ / ١٦٥ ـ ١٦٤ ذيل شرح الكتاب ٦٢ .
[١١٩] ـ تاريخ الامم الملوك ج٢ /٢٣٧ ، طبع دار الكتاب العربى ، بغداد عام ٢٠٠٥ م .ـ ١٤٢٦ هـ .
[١٢٠] ـ نهج البلاغة الخطبة ٧٤ .

روى ابن ابى الحديد المعتزلى : « فمن ذلک ، الخطبة التى رواها ابو الحسن على بن ابى محمد المدائنى عن عبدالله بن جنادة قال : قدمت من الحجاز اريد العراق فى أول امارة على (ع) ، فمررت بمكة فاعتمرت ثم قدمتُ المدينة فدخلت مسجد رسول الله (ص) اذ نودى بالصلاة جامعة فاجتمع الناس ، وخرج علىّ(ع) متقلّداً سيفه فشحضت الابصار نحوه ، فحمدالله وصلى على رسوله ، ثم قال : أما بعد فانه لما قبض الله نبيه (ص) قلنا : نحن اهله وورثته وعترته و اولياؤه دون الناس لا ينازعنا سلطانه أحد ، ولا يطمع فى حقنا طامع ، اذا انبرى لنا قومنا فغصبونا سلان نبينا ، فصارت الامرة لغيرنا ، وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف ويتعزّز علينا الذليل ، فبكت الاعين منا لذلک وخشنت الصدور وجزعت النفوس وأيم الله لو لا مخافة الفرقة بين المسلمين وأن يعود الكفر و يبور الدين لكنُّا على غير ما كنا لهم عليه »[١٢١] .

ففى هذا الكلام يصرّح اميرالمؤمنين (ع) بانه لو لا خشبة وقوع الفرقة والاختلاف الدّاخلى بالمسلمين و تعكير صفو الوحدة الاسلامية لما سكت اهل البيت (ع) ولنهضوا ضدّ الغاصبين . ومن هنا يعلم اهميّة الوحدة الاسلامية فى منطق اميرالمؤمنين (ع) .

٨ـ ما قاله فى جواب بعض بنى هاشم الذى اراد تحريض الناس باشعار فيها مديح لاميرالمؤمنين وتظّلم له بعد وقعة السقيفة

قال ابن ابى الحديد : « وقال بعض ولد ابى لهب بن عبدالمطلب شعراً :

ما كنت أحسب أن الامر منصرف عن هاشم ثم منها عن أبى حسن

أليس اول من صلّى لقبلتكم واعلم الناس بالقرآن والسنن

[١٢١] ـ شرح نهج البلاغة ، ابن ابى الحديد ج١ / ١٠١ ، فى شرح الخطبة ٢٢ .

واقرب الناس عهداً بالنبى ومن جبريل عون له فى الغسل والكفن

من فيه ما فيهم لا يمترون به وليس فى القوم ما فيه من الحسن

ماذا ألذى كادهم عنه فنعلمه ها إن ذا عبن من أعظم الغبن

قال الزبير فبعث اليه (ع) فنهاه وأمره أن لا يعود وقال : سلامة الدين أحب الينا من غيره »[١٢٢] .

٩ـ ما قاله (ع) لاصحاب الجمل بعد هزيمتهم

روى الشيخ المفيد فى كتاب الجمل : « وروى ابو محنف والمسعودى عن هاشم بن البريد عن عبدالله بن مخارق عن هاشم بن مساحق القرشى قال : حدثنى ابى انه حين انهزم الناس يوم الجمل ، اجتمع معه طائفة من قريش فيهم مروان بن الحكم ، فقال بعضهم لبعضٍ : والله لقد ظلمنا هذا الرجل ـ يعنون اميرالمؤمنين (ع) ـ ونكثنا بيعته من غير حدث ، والله لقد ظهر علينا ، فما رأينا قط اكرم مسيرةً منه ، ولا أحسن عفواً بعد رسول الله (ص) ، فقوموا حتى ندخل عليه ونعتذر اليه ممّا صنعناه ، قال : فصرنا الى بابه فاستأذنّاه فأذن لنا ، فلّما مثلنا بين يديه جعل متكلّم يتكلّم ، فقال عليه السّلام :

« انصتوا أكفيكم ، انمّا أنا بشر مثلكم ، فإن قلتُ حقاً فصدقونى ، وان قلت باطلاً فردّوا علىّ ! أنشدكم الله ! أتعلمون أن رسول الله (ص) لمّا قبض كنت أنا اولى الناس به وبالناس من بعده ؟ » . قلنا : اللهمّ نعم . قال : فقدَلتمُ عنّى وبايعتم ابابكر ، فأمسكتُ ولم أحب أن أشق عصا المسلمين ، وافرّق بين جماعتهم ، ثم إن ابابكر جعلها لعمر من بعده فكففت ، ولم أهج النّاس ، وقد علمتُ انّى كنت أولى الناس بالله وبرسوله وبمقامه ، فصبرت حتّى قتل عمر ، وجعلنى سادس ستةٍ ، فكففت ولم أحب أن أفرق بين المسلمين ، ثمّ بايعتم عثمان فسطوتم عليه فتلتموه ، وأنا جالس فى بيتى

[١٢٢] ـ المصدر ج٢ /٨ ـ ٩ فى شرح الخطبة ٦٧ .

فأتيتمونى وبايعتمونى كما بايعتم أبابكر وعمر ، فما بالكم وفيتم لهما ولم تفوا لى ؟! وما الذى منعكم من نكثِ بيعتهما ودعاكم الى نكث بيعتى ؟ فقلنا له : كن يا اميرالمؤمنين كالعبد الصالح يوسف اذ قال : « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين »[١٢٣] .

فقال عليه السلام : « لا تثريب عليكم اليوم ، وأنّ فيكم رجلاً لو بايعنى بيده لنكث باسته ! » يعنى مروان بن الحكم »[١٢٤] .

فذلكة الكلام فى اسباب عدم نهوض اميرالمؤمنين (ع) بالسيف :

يستفاد من مجموع ما نقل عن اميرالمؤمنين (ع) فى اسباب عدم نهوضه(ع) بالسيف ضد الخلفاء ، انّ من اهم الاسباب هو خوفه (ع) من وقوع الفرقة بين المسلمين وشق عصاهم ، الامر الذى يسبب طمع اعداء الاسلام فى الهجوم على المسلمين واجتثاث الدين من اساسه ، فهو (ع) حفاظاً على الوحدة الاسلاميّة على ما به من غيض وغصب بسبب غضب القوم حقّه ، سكت عن النهوض ضدّ السلطة ، وان لم يألوا جهداً فى اتمام الحجج على الناس ، خاصة فيما ناشدهم به فى عدّة مواضع .

اسباب عدم تسامح اميرالمؤمنين (ع) تجاه الناكثين والقاسطين والمارقين

وهنا قد يسأل انّ الامام الذى تسامح بالقيام ضد الخلفاء ، لماذا لم يتسامح ازاء الناكثين فى وقعة الجمل والقاسطين فى صفين والمارقين فى النهروان و لم يحاول اخماد نار الفتنة باصلاح الطرفين رعاية للوحدة الاسلامية ؟!

والجواب يتضح اذا أمعنّا فى هذه النقاط :

---

[١٢٣] ـ يوسف / ٩٢ .

[١٢٤] ـ الجمل ، ص ٤١٧ ـ ٤١٦ ، تحقيق السيد على ميرشريفى طبع قم / ٤١٣ هـ ـ ١٣٧١ ش ، مكتب الاعلام الاسلامى .

الاولى ـ ان اميرالمؤمنين (ع) حينما ثارت عليه تلك التيارات ، كان حاكماً شرعياً وشعبياً بايعه عامة المهاجرين والانصار ، وكان قائداً للنظام الاسلامىّ . وكان الحفاظ على النظام الاسلامى يفرض عليه الوقوف بوجه الشاغبين والداعين الى الفوضى والهرج والمرج ليسود الامن والامان على المجتمع .

الثانية : انّ الناكثين فى وقعة الجمل نكثوا بيعته من غير حدث حدث من قبله ولا ومن قبل عمّاله، ونكث البيعة من المحرّمات الاكيدة ، فقام باتمام الحجج عليهم ونصحهم ودعاهم الى الاصلاح فلم يصطلحوا واصّروا على البغى والقتال ، فقام (ع) باداء الواجب الشّرعى الذى فرضه عليه القرآن فى قوله : « وان طائفتان من المؤمنين اقتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احدهما على الأخرى فقاتلوا التى ينبغى حتّى تغى الى امر الله ...»[١٢٥] .

الثالثة : ان القاسطين من اهل الشام بزعامة معاوية كان بغاة على الدّولة الاسلامية ومشاغبين فارحلوا باشعال الفتنة ضدّ النظام الاسلامى والامام (ع) تريّث بابداء النّصح واتمام الحجج عليهم اكثر من سنة وقام بمحاولات كثيرة للمّ الشمل فلم يردعوا وبدؤوا الحرب ضده وما كان له بدّالاً ليقف بوجه البغاة كما أوه القرآن الكريم ، مضافاً الى انه يعفلم بان معاوية كان يحاول القضاء على اصل الاسلام ، فلو تركه لما رضى الّا باسقاط الاسلام وحتّى بعد الحرب حاول عرض اسلام جديد مبتدع يختلف جوهراً وقالباً عن الاسلام المحمّدى الاصيل والذى اطلق عليه بالاسلام الاموى ، فلو سكت اميرالمؤمنين (ع) قبال معاوية لكان بامكان الاسلام احتثاث جذور الاسلام المحمدى .

الرّابعة : ان المارقين كانوا عين الفتنة وكانوا يشكلون جرثومة الفساد والفتنة السرطانية فى داخل جسم الامة الاسلامية وما تمكن على اجتثاثها احد الّا اميرالمؤمنين (ع) حيث قال : « أنا فقأت عين الفتنة ... » مضافاً الى هذا كله فان رسول الله (ص) قد امره بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين » .

---

[١٢٥] -

الخامسة : « انّ ابن ابى الحديد المعتزلى طرح هذا السؤال واجاب عليه بهذا اللون : « فان قلت فهلّا سلّم الى معاوية والى أصحاب الجمل وأعتضى على اغتصاب حقه حفظاً للاسلام من الفتنة ؟

قلت : ان الجور الداخل عليه من اصحاب الجمل ومن معاوية وأهل الشام لم يكن مقعوراً عليه خاصّة ، بل كان يعمّ الاسلام والمسلمين جميعاً ، لانّهم لم يكونوا عنده ممّن يصلح لرئاسة الامة وتحمل أعباء الخلافة ولم يكن الشر اذى اشترطه متحققاً وهو قوله ولم يكن فيه جوراً الاعلىّ خاصّة ... »[١٢٦] .

الحضور العلمى و المعنوى لأميرالمؤمنين (ع) فى سلطة الخلفاء

إنّ اميرالمؤمنين (ع) وان نكثت بيعته فى الغدير وتولّى السّلطة بعد رسول الله(ص) اصحاب السقيفة واحد بعد الآخر وكان معزولاً عن التّصدى للخلافة خلال خمس وعشرين سنة ، الّا انّه ما كان منعزلاً عن الأحداث السيّاسية والاجتماعيّة والدينيّة التّى بمصير الاسلام والمسلمين وكان فى نفس الوقت الذى وقف موقف المعترض على شرعية السلطة البا انه ما كان ينجل بالمشاركة فى صنع الاحداث المصريّة وكان الخلاء مضطرّين للرجوع اليه للخروج من المأزق فكان (ع) يدلى بمشوارته الى الخلفاء حينما كانوا يستشيرونه كما كان لا يألوا جهداً فى تصحيح ما فسد من امور المسلمين والاعتراض على البدع . وكان مرجعاً فكرياً وعلميّاً للمسلمين وللخلفاء وكان الخلفاء حينما يضيق بهم الامر ويعجزون عن اجابة المسائل الموجهة اليهم ويرجعوا الى باب مدينة علم الرسول (ص) لم يردّهم خائبين وهو وان لم يقبل ولاية على اقليم ولا امارة على جيش من قبل الخلفاء لكنه اذن لكبار اصحابه وشيعة للدخول فى الولايات والأمارات ولم يقاطع السلطة بصورة مامّة حفاظاً على الوحدة الاسلامية واليكم نماذج ممّا ذكرناه من حضور العلمى والمعنوى خلال الخمسة والعشرين سنة .

[١٢٦] ـ شرح نهج البلاغة ، ابن ابى الحديد ج٢ / ٦١ ، فى شرح الخطبة ٧٤ .

أـ نصح الخلفاء وابداء الرآى الصّائب لاستشارتهم .

وهذا الامر حدث فى زمن ابى بكر وكثيراً فى زمن عمر وعثمان منها :

١ـ روى اليعقوبى : « وأراد ابوبكر ان يغير والرّوم ، فشاور جماعة من أصحاب رسول الله ، فقد مداو آخر فاستشار على بن ابى طالب ، فأشار أن يفعل ، فقال : إن فعلت ظفرت ، فقال : بشّرت نجير ! فقام ابوبكر فى الناس خطيباً ، وأمرهم أن يتجهزوا إلى الروم ، فسكت الناس ، فقام عمر فقال : لو كان مرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوک . فقام عمرو بن سعيد فقال : لنا تضرب امثال المنافقين يا ابن الخطاب ، فما يمنعک أنت ما عبت علينا فيه؟

فتكلّم خالد بن سعيد ، وأسكت اخاه فقال : ما عندنا الّا الطاعة ، فجزاه ابوبكر خيراً ، ثم نادى فى الناس بالخروج ، واميرهم خالد بن سعيد ، وكان خالد من عمّال رسول الله باليمين ، فقدم وقد توّفى رسول الله ، فامتنع عن البقية ، ومال الى بنى هاشم ، فلمّا عهداً ابوبكر لخالد قال له عمر : اتوّلى خالداً وقد حبس عنک بيعته ، وقال لبنى هاشم ما قد بلغک ؟ فوالله ما أرى ان توجهّه ، فحّل لواء ، درعا يزيد بن ابى سفيان وابا عبيدة بن الجراح ، وشرجيل بن حسنة ، و عمرو بن العاص ، فعقد لهم ، وقال : اذا اجتمعتم فأمير الناس ابوعبيدة... »[١٢٧] .

٢ـ ومن كلام له (ع) وقد استشارة عمر بن الخطاب فى الخصوص لقتال الفرس بنفسه:

« إن هذا الامر لم يكن نصره ولاخذ لانه بكثرة ولا بقلة وهو دين الله الذى أظفره ، وجنده الذى أعده وأمده ، حتّى بلغ ما بلغ ، وطلع حيث طلع ، وعن على موعودٍ من الله ، والله منجز وعده ، وناصر جنده . ومكان القيم بالامر مكان النظام من الحرز يجمعه ويضمّه : فإن انقطع النّظام تفرّق الخرز وذهب ، ثمّ لم يجتمع بحذافيرة أبداً . والعرب اليوم ، وان كانوا قليلاً ، فهم كثيرون بالاسلام ،

[١٢٧] ـ تاريخ اليعقوبى ، ج٢ /١٣٢ ـ ١٣٣ ، طبع بيروت دار صادر .

عزيزون بالاجتماع ، فكن ان شخصت من هذه الارض انتقضت عليک العرب من أطرافها وأقطارها ، حتّى يكون ما تدع وراءک من العورات أهمّ اليک ممّا بين يديک إن الأعاجم ان ينظروا اليک غداً يقولوا : هذا أصل العرب ، فاذا اقتطعتموه استرحتم ، فيكون ذلک أشدّ لكلبهم عليک ، واصبعهم فيک . فامّا ذكرت ما ذكرت من مسير اقوام الى قتل المسلمين ، فان الله سبحانه هو اكره لمسيرهم منک ، وهو اقدر على تغيير ما يكره . وامّا ما ذكرت من عددهم ، فانّا لم يكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ، وانمّا كنا فقاتل بالنّصر والمعونة .»[١٢٨] .

قال ابن ابى الحديد فى شرح هذا الكلام : « اعلم ان هذا الكلام قد اختلف فى الحال التى قاله فيها لعمر ، فقيل : قاله فى غزاة القادسية وقيل فى غزاة نهاوند والى هذا القول القول الاخير ذهب محمدبن جرير الطبرى فى التاريخ الكبير والى القول الاول ذهب ابن أعثم فى كتاب الفتوح ... وبعد ان نقل مقترحات عثمان وطلحة حيث كانا يحرضانه الى الشخصوص بنفسه الى القتال وانهم مؤتمرون بامره ولكن لمّا اشار عليه اميرالمؤمنين (ع) بعدم الشخوص بنفسه استحسن عمر كلامه فقال : « اجل اهذا الرأى . وقد كنت أحب ان اتابع عليه ...»[١٢٩] .

٣ـ عمر يستشير عليّاً (ع) فى حرب الروم

قال السيد جعفر مرتضى العاملى : « وفى السّنّة الخامسة عشرة ، وقيل فى السادسة عشرة ، كان صلح عمر مع اهل البيت المقدس ... .

وجاء فى فتوح ابن أعثم ، وذكر قريباً عنه حجة ابن حجة الحموى : ان أبا عبيدة كتب الى عمر كتاباً جاء فيه :

---

[١٢٨] ـ نهج البلاغة الخطبة ١٤٦ .
[١٢٩] ـ شرح نهج البلاغة ج٢ /٤٠٥ ـ ٤٠٧ .

انى صرت الى أهل الياء فى جماعته من المسلمين ، حتى نزلت بهم ، وحللت مباحتهم ، ثم واقعناهم وقائع كثيرة ، كانت عليهم لا لهم ، وطاولناهم فلم يجدوا فى مطاولتهم ايانا فرجاً ، ولم يزدهم الله تعالى بذلک الّا ضعفاً ونقصاً ، وذلّاً وهولاً .

فلمّا طال بهم ذلک واشتد عليهم الحصار ، سألوا الصلح وطلبوا الامان ، على أن يقدم عليهم اميرالمؤمنين (ع) ، فيكون هو الموثوق به عندهم ، والكاتب لهم كتاباً بامانهم .

ثم اناخشينا ان يقدم اميرالمؤمنين يتعذر وابعد ذلک ويرجعوا ، فأخذنا عليهم العهود والمواثيق ، و الايمان المغلظة لهم أنهم لا يعذرون ولا ينكثون ، وانهم يؤدون الجزية ، ويدخلون فيما دخل اهل الذمة ، فأقروّا لنا بذلک ، فان رأيت يا أميرالمؤمنين أن تقدم علينا فافعل .

قال : لمّا وصل كتاب أبى عبيدة الى عمر ، وقرأه أرسل الى وجوه المهاجرين والانصار ، وكل من كان معه بالمدينة إن الله تعالى قد أذن الروم وأدال عليهم وابوعبيدة قد حصرهم وضيق عليهم ، فهم يزدادون فى كل يوم نقصاً وذرّاً ووضعفاً ، و وهناً ، فان أنت أقسمت ولم تسر اليهم علموا أنت مستخف بأمرهم ، مستضعف لشأنهم ، حاقر لجنودهم ، فلا يلبثون الّا سيراً حتى ينزلوا على الحكم ، او يؤدّون الجزية .

فقال عمر : هل عند أحد منكم غير هذا الرأى ؟!

فقال علىّ بن ابى طالب (ع) » : نعم ، عندى من الرأى ، أنّ القوم قد سألوک المنزلة التى لهم فيها الذل والصغار ، ونزولهم على حكمک عزلک ، وفتح للمسلمين ولک فى ذلک الأجر العظيم فى كل ظمأ و مخمصة ، وفى قطع كل وادٍ وبقعة ، حتى تقدم على اصحابک وجندک .

فإذا قدمت عليهم كان الأمر (الأمن) والعاقبة ، والصلح ، والفتح ان شاء الله . وأخرى ، فانى لست آمن الروم ، إن هم أيسوا من قبولک الصلح ، وقدومک عليهم أن يتمسكوا ببعضهم ، ويلتئم اليهم

اخوانهم من اهل دينهم ، فتسّد شوكتهم ، ويدخل على المسلمين من ذلک البلاء ، ويطول امرهم وحربهم ، ويصيبهم الجهد والجوع .

ولعل المسلمين أن يقتربوا من الحصن ، فيرشقوهم بالنشاب ، او يفرقونهم بالحجارة ، فإن أصيب بعض المسلمين ، فعسى ان تكون قد افتديت قتل رجل مسلم من المسلمين بكلّ مشرک الى منقطع التراب . فهذا ما عندى والسلام .

فقال عمر : أما أنت يا عثمان فقد أحسنت النظر فى مكيدة العدو ، وأما أنت يا ابالحسن ! فقد احسنت النظر لاهل الاسلام ، وأنا سائر الى الشام ان شاء الله ، ولا قوة الا بالله .

وعند ابن حجة الحمدى : ففرح عمر بمشورة على وقال : لست آخذاً الّا بمشورة على ، فما عرفناه الّا محمود المشورة ميمون الطّويّة »[١٣٠] .

٤ـ استعانة عثمان بعلى (ع) لحلّ أزمة الثائرين :

بعد أن سببّت اعمال عثمان وعمّاله من بنى امية غضباً جماهيرياً ضده فاجتمعت جموع كثيرة من مصر والكفة والبصرة معترضين على اعمال الخليفة وعمّاله ، ضاق عثمان ذرعاً من تلک الجموع فاستنجد علياً لحلّ تلک الأزمة التى حدثت فى دار الخلافة ولقد كاد على (ع) ان يحلّها لو لا تدخلات مروان وتطفلاته التى الهبت حماس المعترضين فانتهت الثورة الى حصار عثمان ثم قتله وما جرى من احداث بعد ذلک .

وقد نقل المؤرخون صوراً مختلفة عن تلک الازمة ، ننتقل هنا ما ذكره ابن الاثير فى كاملة حيث قال :

[١٣٠] ـ الصحيح من سيرة الامام على (ع) ج ١٣ / ١٢٣ ـ ١٢٥ .

« فلمّا نزل القوم ذا خُشُب يريدون قتل عثمان إن لم ينزع ممّا يكرهون ، ولمّا رأى عثمان ذلک جاء الى علىّ فدخل بيته فقال له : يا ابن عم ، انّ قرابتى قريبة ولى عليک حقّ عظيم ، وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم وهم مصحبىّ ، ولک عند الناس قدر ، وهم يسمعون منک ، واحبّ ان تركب اليهم فتردهم عنّى ، فان فى دخولهم علىّ توهيناً لارى جرأة على ! فقال علىّ : على أى شئٍ اردّهم عنک؟ قال : على أن اصير الى ما اشرت اليه ورأيته لى .

فقال علىّ : انى قد كلمتک مرّة بعد اخرى فكل ذلک تخرج وتقول ثم ترجع عنه .

وهذا من فعل مروان وابن عامر ومعاوية وعبدالله بن سعد ، فأنک أطعتهم وعصيتنى . قال عثمان : فأنا أعصيهم وأطيعک .

وذكر ابن الاثير ان علياً (ع) ركب بثلاثين من المهاجرين والأنصار . واقنع المصريين على الرجوع ثم قال : ورجع علىّ ومن معه الى المدينة ، فدخل على عثمان فأخبره برجوعهم وكلّمه بما فى نفسه ثم خرج من عنده ، فمكث عثمان ذلک اليوم ، وجاءه مروان بكرة الغد فقال له : تكلّم واعلم الناس أن اهل مصر قد رجعوا وأن ما يلغيهم عن امامهم كان باطلاً قبل ان يحيئ الناس اليک من امصار هم ويأتيک من لا تستطيع دفعه ، ونقل عثمان وذكر ابن الاثير ؟؟ خلاضته ان كلامه أثار غضب الناس فاعترض عليه عمر وبن العاص وغيره وامروه بالتوبة وجعل عمروبن العاص يهرّج عليه فى فلسطين.

ثم قال : وقيل ان علياً لما رجع من عند المصريين بعد رجوعهم الى عثمان قال له : تكلّم كلاماً يسمعه الناس منک ويشهدون منک ويشهدون عليک ويشهد الله على ما فى قلبک من النزوع والامان ، فان البلاد قد تمخضّت عليک ، فلا آمن ان يأتى و؟؟ آخر من الكوفة والبصرة فتقول : يا علىّ اركب اليهم ، فان لم افعل رأيتنى قد قطعت رحمک واستخففتُ بحقک . فخرج عثمان فخطب

الخطبة التى نزع فيها واعطى الناس من نفسه التوبة وقا : « أنا اوّل من اتعظّ ، استغفرالله مما فعلت و اتوب اليه ، فمثلى نزع وتاب ، فاذا نزلت فليأتى أشرافكم فليروا فى رأيهم ، فوالله لئن ردّنى الحقّ عبداً لاستنّ بسنّة العبد ولا ذلنّ ذلّ العبد وما عن الله مذهب الّا اليه فوالله لاعطيكم الرضاو لا نحين مروان وذويه ولا أحتجب عنكم ! فرق الناس وبكوا حتّى أخضلوا لحاهم وبكى هو ايضاً .

وذكر ابن الاثير ان مروان ونفراً من بنى امية جاؤوا وأزالوه عن الخطّة التى اتخذها فى استرضاء الناس واعترضت عليهم نائلة زوجة عثمان وحذرته من خطر قتلهم لعثمان ثم فوض عثمان الامر الى مروان ليذهب و يكلم الناس فذهب مروان وجعل يسبّ الناس ويشتمهم ، الامر الذى حرّک احاسيس الناس ضد عثمان .

ثم قال : فأقبل علىّ على عبدالرحمن بن الأسود بن عبد؟؟؟ فقال أحضرت خطبته عثمان ؟ قال : نعم : قال : أفحضرت مقالة مروان للناس ؟ قال : نعم .

فقال علىّ : أى عبادالله ! يا للمسلمين ! إنى حقدت فى بيتى قال لى ک تركتنى وقرابتى وحقّى ، وانّى حقدت فى بيتى قال لى : تركتنى وقرابتى وحقّى ، وانّى ان تكلّمت فجاء ما يريد يلعب به مروان فصار سيّقةً له يسوقه حيث يشاء بعد كبرالسن وصحبة رسول الله (ص) ، وقام مغضباً حتى دخل على عثمان فقال له : أمارضيت من مروان ولا رضى عنک الّا بتحرفک عن دينک وعن عقلک مثل جمل الضغينة يقاد حيث يساربه ؟ والله ما مروان بذى رأى فى دينه ولا نفسه ! وايم الله انّى لأراه يوردک ولا يصدرک ! وما أنا عائد بعد مقامى هذا لمعاتبتک ، أذهبت شرفک وغُلبت على رأيک .

فلمّا خرج علىّ دخلت عليه امرأته نائلة ابنة الفرافصة فقالت :

قد سمعت قول علىّ لک ولیس یعاودک وقد اطعت مروان یقودک حیث یشاء . قال : فما أصنع ؟ قالت : تتقی الله وتتبع سنّة صاحبیک فانک متی أطعت مروان قتلک ، ومروان لیس له عندالناس قدر ولا هبیة ولا محبة ، وانمّا ترکک الناس لمکانه ، فارسل عثمان الی علىّ فلم یأته وقال : قد أعلمته انّی غیر عائد ... .

وأنی عثمان الی علىّ بمنزله لیلاً . قال له : انّی غیر عائد ، وانّی فاعل . فقال له علىّ : بعد ما تکلمّت علی منبر رسول الله (ص) ، وأعطیت من نفسک ثم دخلت بیتک فخرج مروان الی الناس یشتمهم علی بابک ویؤذیهم . فخرج عثمان من عنده وهو یقول : خذلتنی وجرّأت الناس علی . فقال علی : والله انّی لأکثر الناس ذباً عنک ولکنی کلما جئت بشئ اظنه لک رضاً جاء مروان باخری فسمعت قوله وترکت قولی .

ولم یعد علىّ یعمل ما کان الی أن منع عثمان الماء . فقال علىّ لطلحة : أرید أن تدخل علیه الروایا . وغضب غضباً شدیداً حتی دخلت الروایا علی عثمان .

قال : وقد قیل ان علیّاً کان عند حصر عثمان بخیبر ، فقدم المدینة والناس مجتمعون عند طلحة ، وکان ممّن له فیه أثر ، فلمّا قدم علىّ أتاه عثمان وقال له : أما بعد ، فان لی حق الاسلام وحق الإخاء والقرابة والصهر ، ولو لم یکن من ذلک شئ ولسنا فی الجاهلیة لکان عاراً علی بنی عبدمناف أن ینتزع اخو بنی تیم ، أمرهم . فقال له علی : سیأتیک الخبر ، ثم خرج الی المسجد فرأی أسامة فتوکّا علی یده حتّی دخل دار طلحة ، وهو (فی) خلوة من الناس ، فقال له ، یا طلحة ما هذا الامر الذی وقعت فیه ؟ فقال یا أبالحسن بعد ما مسّ الحزام الطّبیین . فانصرف علىّ حتّی أنی بیت المال فقال : افتحوه ، فلم یجدوا المفاتیح ، فکسر الباب وأعطی الناس ، فانصرفوا من عند طلحة حتّی **بقی** وحده ، فسرّ بذلک عثمان ، وجاء طلحة فدخل علی عثمان وقال له : یا امیرالمؤمنین أردت

أمراً فحال الله بينى وبينه! فقال عثمان والله ما جئت تائباً ، ولكن جئن مغلوبا ، الله حسيبک يا طلحة !»[١٣١] .

والذى يفهم جلياً هذا النّص ان اميرالمؤمنين (ع) كان يحاول بكل جهده لحلحة الازمة التّى تعرضت لها الأمة الاسلامية فى زمان عثمان واصلاح امور الناس والخليفة حتّى لا تتعكّر الاجواء و يتهيّأ المناخ المساعد للفتن ، ولكن هناک عناصر فى داخل جهاز الخليفة مثل مروان واضرابه كانوا يسعون بتصرفاتهم الصبيّانية لاشعال نار الفتنة ، كما كان عناصر خارج الحكم مثل طلحة بن عبيدالله ونظائره يسعون لاستغلال الفرصة وخبط الماء العكر لاصطياد أسماک السلطة ، وهؤلاء هم الذين كانوا من عمدة الفتنة التّتى كان من نتائجها الاولية مقتل عثمان ، ومن غرائب الدهر هؤلاء هم الذين فعوا علم يا لثارات عثمان واصبح البرئ من جميع تلک القضايا هو الواقع تحت علامة الاستفهام !

ب ـ تدخّل اميرالمؤمنين (ع) لحسم أزمات القضاء فى زمن الخلفاء

ان اميرالمؤمنين (ع) وان كان يرى تراثه نهباً قد عزل عن التّصدى لزعامة الامة سياسياً ، الّا انه ما كان يرى ان يتقوقع وينعزل عن كل الشؤون الاجتماعية . فقد كان له حضور فعّال فى المجتمع لتصحيح الاعوجاج وحسم النزاع فى الخلافات الاجتماعية ، واصدار الاحكام القضائية خاصة فى المواقع التّى يواجه الخلفاء أزمات فيهرعون اليه لحلّ تلک الازمات ، وذلک لانهم كثيراً ما سمعوا رسول الله (ص) ينوه بمنزلته فيما بين المهاجرين والانصار ، مثل قوله (ص) :

« أعلم أمتى بالسنة والقضاء علىّ بن ابى طالب »[١٣٢] .

وقوله (ص) : « أقضاكم علىّ»[١٣٣] .

---

[١٣١] ـ الكامل فى التاريخ ج٢ / ٢٨٣ ـ ٢٨٦ طبع دار احياء التراث العربى ، بيروت ١٤٠٨ هـ . ١٩٨٩ م .
[١٣٢] ـ كناية الطالب ، ط نجف ص١٩٠ .
[١٣٣] ـ المصدر ص ١٩٠ .

وقوله (ص) : « يا على انطلق الى اهل اليمن ففقّههم فى الدين وعلّمهم السّنّة واحكم فيهم بكتاب الله ... اذهب انّ الله سيهدى قلبک ويثبت لسانک »[١٣٤] .

وقد لمع نجم على (ع) فى أمر القضاء فى زمن رسول الله (ص) لا فقط فى اليمن حينما ارسله هناک ، بل حتى فى مدينة الرسول (ص) وفى محضره (ص) .

روى الكلينى بسنده عن ابى عبدالله (ع) عن ابيه (ع) ، أن ثوراً قتل حماراً على عهد النبى (ص) فرفع ذلک اليه وهو فى أناس من اصحابه فيهم ابوبكر وعمر فقال :

يا أبابكر ! اقض بينهم ، فقال : يا رسول الله . ابهيمة قتلت بهيمة ما عليها شئ .

قال يا عمر اقض بينهما . فقال مثل قول أبى بكر ، فقال : يا على اقض بينهم . فقال : نعم يا رسول الله . ان كان الثور دخل على الحمار فى مستراحه فضمن اصحاب الثور ، وان كان الحمار دخل على الثور فى مستراحه فلا ضمان عليهما قال : فرفع رسول الله (ص) يده الى السماء فقال : الحمد الله الذى جعل منّى من يقضى بقضاء النبيين »[١٣٥] .

وروى المتقى الهندى المتوفى ٩٧٥ : « عن على (ع) قال : بعثنى رسول الله (ص) الى اليمن فانتهينا الى قوم قد بنوا زبية للاسد ، فبيناهم يتدافعون إذ سقط رجل فتعلق بآخر ثم تعلق برجل آخر حتى صار وافيها أربعة فجرحهم الأسد فانتدب له رجل بحربة فقتله وماتوا من جراحهم كلهم ، فقام اولياء المقتول الاول الى اولياء الثانى فاخرجوا السلاح ليقتتلوا ، فأتاهم على تفيئة ذلک فقال : تريدون أن تقتتلوا ورسول الله (ص)حىّ ؟

---

[١٣٤] ـ كنز العمّال ج٦ /٣٩٢ .
[١٣٥] ـ اصول الكافى ج٧ /٣٥٢ ـ باب ضمان ما يصيب الروات ح ٦ .

انّى أقضى بينكم بقضاء ان رضيتم فهو القضاء والّا حجز بعضكم عن بعض حتى تأتوا النبى (ص) فيكون هو الذى يقضى بينكم ، فمن عدا بعد ذلک فلاحق له ، اجمعوا من قبائل هؤلاء الذين حفروا البئر ربع الدّية وثلث الدية ونصف الدّية اوالدّيّة الكاملة ، فللأوّل الربع لانه هلک بمن فوقه والثانى ثلث الدّيّة وللثالث نصف الدّيّة وللرابع الديّة كاملة ، فأبوا ان يرضوا فأتوا النبى (ص) وهو عند مقام ابراهيم فقضوا عليه القضاء فقال : أنا أقضى بينكم واجبى ، فقال رجل عن القوم : انّ علياً قضى بيننا فقصّوا عليه القصّة فأجازه النبى (ص) ، وفى لفظ فقال النبى (ص) : القضاء كما قضى علىّ (ط ، ش ، حم وابن منيع وابن جرير وصححصة ، ق وضعفه) [١٣٦] » .

وقد رويت من طرق الشيعة بنحو آخر .

اء فى جواهر الكلام : « ولفظه : « قضى اميرالمؤمنين (ع) فى اربعة اطلعوا فى زبية الأسد فخّر احدهم فاستمسک بالثانى ، فاستمسک الثانى بالثالث ، فاستمسک الثالث بالرابع ، حتى أسقط بعضهم بعضاً على الاسد فقضى بالاول أنّه فريسة الاسد وغرم أهله ثلثى الدّية وغرّم اهل الثالث لأهل الرابع الدّية كاملة »[١٣٧] .

ومن هذا المنطلق كان المسلمون ومنهم الخلفاء اذا أشكل عليهم مورد فى القضاء لجأوا الى اميرالمؤمنين (ع) لانقاذهم من الازمات وقد نقل المؤرخون واصحاب الحديث موارد كثيرة حدثت فى زمن ابى بكر وعمرو عثمان وجاءت فى الكتب التّى صنفّت لاقضية الامام على (ع) .

ج ـ المرجعية العلمية للامام على (ع) فى حلّ الشّبهات الفكرية والفقهية فى زمن الخلفاء

مضافاً الى مرجعية اميرالمؤمنين (ع) فى شؤون القضاء ظهرت مرجعيّته العلمية ايضاً فى زمن الخلفاء ، وذلک انطلاقاً من تنويه رسول الله (ص) حول علومه الغزيرة حيث قال رسول الله (ص) فيه :

---

[١٣٦] ـ كنز العمال ج١٣ / ٥٢ ـ الحديث ٣٦٣٧٦ .
[١٣٧] ـ الزبية : جغيرة تحضر لعيد البالغ .

« أنا مدينة العلم وعلىّ بابها فمن أراد العلم فليأتها من بابها »[١٣٨] .

واليكم نماذج مما راجع فيها الخلفاء اميرالمؤمنين (ع) فكشف عنهم الشبهات او انه بادر لحل المعضلات بلا ان يستعين به احد دفعاً للشر عن المسلمين .

١ـ ما رواه الشيخ المفيد : « وجاءت الرواية ان بعض احبار اليهود جاء الى ابى بكر فقال : انت خليفة نبىّ هذه الامة ؟ فقال له : نعم . فقال : انّا نجد فى التورية ان خلفاء الانبياء أعلم أممهم . فاخبرنى عن الله تعالى . اين هو فى السماء ام فى الارض ؟ فقال ابوبكر : هو فى السماء على العرش . فقال اليهودى : فارى الارض خالية منه واراه على هذا القول فى مكان . فقال له ابوبكر : : هذا كلام الزّنادقة اعزب عنّى والّا قتلتک . فولى الحبر متعجباً يستهزئ بالاسلام ، فاستقبله ميرالمؤمنين (ع) فقال : يا يهودى ! قد عرفت ما سئلت عنه وما اجبت به وامن القول : انّ الله عزّوجل اين الاين فلا اين لله وجلّ ان يحويه مكان وهو فى كل مكان بغير مماسة ولا مجاورة يحيط علماً بما فيها ولا يخلوا شئ منها من تدبيره وانّى مخبرک بما جاء فى كتاب من كتبكم يصدق ما ذكرته لک ، فان عرفته أتو من به؟ فقال اليهودى : نعم . قال : الستم تجدون فى بعض كتبكم انّ موسى بن عمران (ع) كان ذات يوم جالساً اذجاءه ملک من المغرب فقال له : من اين جئت ، فقال : من عند الله عزوجل ، ثم جاءه ملک فقال : قد جئت من السماء السّابعة من عند الله عزوجل وجاءه ملک آخر فقال له : قد جئتک من الارض السّفلى السابعة من عند الله عزوجل فقال موسى (ع) : كان من لا يخلو منه مكان ولا يكون الى مكان اقرب من كان . فقال اليهودى ، اشهدان هذا هو الحق وانک احق بمقام نبيّک ممّن استولى عليه »[١٣٩]

[١٣٨] ـ ان العلامة الميرحامد حسين الهندى قد خصص مجلداً من موسوعة «عبقات الانوار » حول هذا الحديث واسناده ، راجع : نفخات الازهار فى خلاصة عبقات الانوار بقلم السيد على الحسين الميلانى فى ج١٠و١١ و١٢ .
[١٣٩] ـ الارشاد للمفيد ، ص٩٦ من الطبعة

٢ـ ما رواه بن شهر آشوب « وكان الهيثم فى الجيش فلما جاءت امرأته بعد ذهابه بستة اشهر بولد فانكر ذلک منها وجاء به عمر . قضى عليه ، فأمر برجمها فادركها علىّ من قبل ان ترجم ، ثم قال : اربع على نفسک انها صدقت ان الله تعالى يقول : « وحمله وفضاله ثلاثون شهراً» .

وقال : « ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ »[١٤٠].

فالحمل والرضاع ثلاثون شهراً ، فقال عمر : لو لا علىّ لهلک عمر ، وخلّى سبيلها والحق الولد بالرجل»[١٤١].

وقد حدثت امثال تلک الوقائع كثيراً حتّى اشتهر عن عمر انه قال :

« عجزت النساء أن يلدن مثل علىّ بن ابى طالب » .

« اللهم لا تبقنى لمعضلة ليس لها ابن ابى طالب » .

قد اضحت هذه الكلمة مثلاً سائراً « معضلة ليس لها ابوالحسن » .

٣ـ ما حكى ان رجلاً جاء فى زمن خلافة عثمان اليه وبيده جمجمة كافر . فقال : ان زعتم انّ الكافر يعذّب بعد موته فلابد أن تكون جمجمة هذا حارّة من العذاب ، ولكن ليس فيها اى حرارة !

فعجز الخليفة عن الاجابة وارسل الى على (ع) فقصّى عليه القصّة .

فقال على (ع) على بحجر النّار وزناد ، فضرب احدهما بالاخر فانقدحت شعلة نار ، فقال : لو لمسنا الحجر والزناد لما كان فيه حرارة ، والحال انهما يحملان النار فايّ اشكال بان يكون عذاب الكافر فى القبر هكذا .

فسّر الخليفة من هذا الجواب وقال : لو لا علىّ لهلک عثمان »[١٤٢] .

---

[١٤٠] ـ البقرة /٢٣٣

١٤١ ـ مناقب ابن شهر آشوب ج٢ /٤٠٧ .

[١٤٢] ـ على والخلفاء ـ روائح القرآن ص ٥١ ـ فروغ ولايت ، استاد آيت الله سبحانى ص ٢٩٣ .

الوحدة الاسلامية فى سيرة الامام الحسن (ع)

إنّ أهم حدثٍ وقع فى زمن امامة الامام الحسن (ع) هو صلحه مع معاوية ، ولا شک ان لذلک الحدث اسبابه وآثاره قد عنى بتفضيلها المحللّون لحياته الطيّبة ، وخلاصة القول فى ذلک هو :

انّ الامام الحسن (ع) تقلّد زمام الامامة بنصّ من جدّه رسول الله (ص)وابيه اميرالمؤمنين(ع) فهو منصوب من قبل الله عندالشيعة ، وكان هو الامام المفترض الطّاعة كذلک عند عامة المسلمين فان عامّة المهاجرين والانصار واهل العراق والحجاز وغيرهم ما عدا اهل الشام دخلوا فى بيعته ، فكان لتّمرد عليه بغياً ومعصية لله عند الفريقين ، وما كان المتمرد عليه الّا القاسطون الذين بغوا على ابيه اميرالمؤمنين (ع) وعلى رأسهم معاوية بن ابى سفيان . كان عزم الامام الحسن (ع) القضاء على ذلک المتمرّد ودفع عادية الباغى لتوحيد الدوّلة الاسلامية . ولكن الظروف ما كانت مهيّئة للوصول الى تلک الغايةورأى ان مصلحة الاسلام والمسلمين تنحصر بقبول الهدنة والصلح ريثما تتغير الاوضاع لصالح اهل البيت (ع) .

ومن النقاط المهمّة التّى يلزم التركيز عليها آنذاک

اولاً : انّ التركيبة الاجتماعية فى جيش الامام الحسن (ع) تركيبة مفككّة ومنهارة لا يمكن ان يعتمد عليها ايّ قائد محنّک . وذلک لان جيشه يضمّ فلولاً من ذوى الاطماع الذين كانوا انما يشتركون فى الحروب لكسب المغانم والمقامات ، وابناء العشائر الذين لا تحرّكهم الّا العصبيّة لاوامر اسيادهم وشيوخهم ، وكان اكثر شيوخهم اسراء المادة وابناء الطمع فاشترى معاوية ضمائرهم و كان ابناء العشائر تبعاً لهم ، وهناک من اشترک فى حربه من الخوارج الذين كانوا يعتقدون بكفر الامام الحسن ع) كما كفّروا اباه عن قبل ، واشتركوا فى جيشه بغضاً لمعاوية لاحبّاً له . ، وهناک كوكبة من شيعته

المخلصين امثال قيس بن سعد وعدى بن حاتم وحجر بن عدى واضرابهم واتباعهم وكانوا يشكّلون اقليّة بالنسبة الى ذلک الجمهور .

فكان استمرار الحرب مع جيش هذه تركيبته ينتهى بالهزيمة النكراء .

وثانياً : انّ الروم امبراطوريّة عظيمة وقد جرحها المسلمون بتحرير الشام وفتحها فكانت تتحيّن لفرص للوقيعة بالاسلام والمسلمين ، ولمّا رأوا معسكر معاوية قد وقف بحيال معسكر الامام الحسن (ع) ، رأوا تلک الفرصة منتهزة لنيل غايتهم ، ولو لا صلح الامام الحسن (ع) لهجمت الرّوم على الفريقين ولم تبق احداً من المسلمين وبذلک يتم القضاء على الاسلام من الجذور .

ويدل على هذا ما رواه المؤرّخون .

قال اليعقوبى : « ورجع معاوية الى الشام سنة ٤١ ، بعد أن سمع أنّ طاغية الروم قد زحف فى جموع كثيرة وخلق عظم ، فخاف ان يشغله عمّا يحتاج الى تدبيره وإحكامه ، فوجه اليه ، فصالحه على مائة الف دينار» . وكان معاوية اوّل من صالح الرّوم وكان صلحه اياهم فى اوّل سنة ٤٢ .»[١٤٣] .

اذن فالغاية الاولى من قيام الامام الحسن (ع) بالصلح هو الحفاظ على اصل الاسلام والمسلمين ، وكانت تلک المصلحة وتتجسّد بالحفاظ على الوحدة الاسلامية واصلاح ذات ما بين المسلمين والحفاظ على دمائهم من الانهدار بلا مصلحة عائدة عليهم وعلى الاسلام .

وقد اشار الامام الحسن (ع) الى اسباب صلحه فى خطاباته وتصريحاته مع معاوية ومع شيعته مخالفيه .

واليكم نماذج من تلک التصريحات وما يحتوى من حكم واسباب :

[١٤٣] ـ تاريخ اليعقوبى ج٢ / ٢١٧ ، طبع بيروت ، دار صادر .

١ـ الوحدة الاسلامية والاجتناب من الفرقة

قال الامام الحسن (ع) فى خطاب له على جيشه قبل الصلح :

أما بعد ، فوالله انى لأرجوا أن اكون قد اصبحت بحمدالله ومنه ، وأنا أنصح خلق الله لخلفة ، وما صبحت محتملاً على امرئٍ مسلم ضغينه ولا مرسلاً له بسور ولا عائلة ، وان ما تكرهون فى الجماعة خير لكم ممّا تحبون فى الفرقة ، وانّى ناظر لكم خيراً عن نظركم لأنفسكم . فلا تخالفوا أمرى ولا تردوا علىّ رأيى »[١٤٤] .

وقد قال فى موضع آخر بعد انعقاد الصلح :

« وانّى رأيت ان اصلح بين امّة محمد ، وكنت احقّهم بذلک ، فانّا بايعنا معاوية ولعله فتنة لكم و متاع الى حين »[١٤٥] .

٢ـ حقن دماء المسلمين :

انّ الامام الحسن (ع) قد صرح بضرورة حقن دماء المسلمين كثيراً فى كلماته وذلک لأن لدم المسلم حرمة عظيمة لا يجوز الرضا باراقته الّا لمصلحة تعود الى الاسلام والمسلمين ، وما كانت آن ذلک اى مصلحة لاراقة الدماء .

ال الامام الحسن (ع) فى خطابه الذى القاه بحضور معاوية :

« وانّ معاوية نازعنى حقّاً هو لى ، فتركته لصلاح الامة وحقن دمائها . وقد بايعتمونى على ان تسالموا من سالمت ، وقد رأيت أن ما أسالمه وقد بايعته ، ورأيت أن حقن الدماء خير مما سفكها

[١٤٤] ـ كشف الفتحة فى معرفة الائمة ، ابى احسن الاربلى ج٢ / ١٣٨ .
[١٤٥] ـ بحار الانوار ج٤ /١٤ ، تاريخ الامام الزكى الحسن المجتبى (ع)».

وأردت صلاحكم وان يكون ما صنعتُ حجة على من كان يتمنى هذا الامر ، « وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين » . »[١٤٦] .

قال الحسن (ع) لجبير بن نضير حين قال له : انّ الناس يقولون انک تريد الخلافة ، فقال : قد كان جماجم العرب فى يدى يحاربون من حاربت ، ويسالمون من سالمتُ ، تركتها ابتغاء وجه الله ، وحقن دماء امة محمّد (ص) ثم أثيرها يا تيّاسَ اهل الحجاز ؟»[١٤٧] .

٣ـ المحافظة والابقاء على كيان الشيعة :

أشار الامام الحسن (ع) الى ذلک الهدف فى استدلاله على الشيعة المعترضين على الصلح .

من ذلک ماروى انه : لمّا صالح الحسن بن على ابن ابى طالب (ع) معاوية بن ابى سفيان دخل عليه النّاس فلامه بعضهم عى بيعته فقال الحسن (ع) : ويحكم ما تدرون ما عملت ، والله الذى عملت خير لشيعتى ممّا طلعت عليه الشمس او غربت ، الا تعلمون أنى امامكم ومفترض الطّاعة عليكم ، وأحد سيّدى شباب اهل الجنة ، بنصّ من رسول الله (ص) علىّ ؟ قالوا : بلى ، قال : أما علمتم أن الخضر لمّا خرق السفينة وأقام الجدار ، وقتل الغلام ، كان ذلک مسخطاً لموسى بن عمران (ع) إذ خفى عليه وجه الحكمة فى ذلک ، وكان ذلک عند الله تعالى ذكره حكمة وصواباً ؟ أما علمتم أنه ما منّا أحد الّا فى عنقه بيعة لطاغية زمانه الّا القائم الذى يصلى خلفه روح الله عيسى بن مريم (ع) ، فان الله عزوجل يخفى ولادته ، ويغيّب شخصه لئلّا يكون لاحد فى عنقه بيعة اذا خرج ؟ و ذاک التاسع من ولد أخى الحسين ابن سيدة الاماء يطيل الله عمره فى غيبة ، ثم يظهره بقدرته فى صورة شابّ ابن دون الأربعين سنة ، ذلک ليعلم أنّ الله على كلّ شئٍ قدير »[١٤٨] .

---

[١٤٦] ـ انساب الاشراف ؟؟ ازرى ج٣ /٢٨٨ .
[١٤٧] ـ بحار الانوار ج٤٤/١٥ .
[١٤٨] ـ بحار الانوار ج٤٤ /١٩ .

وروى البلاذرى : « قام سفيان بن ليل الى الحسن فقال له : يا مذلّ المؤمنين وعابه حجر بن اعدى الكندى وقال : سؤدت وجوه المؤمنين ، فقال لهالحسن : ما كل أحد يحبّ ما تحبّ ، ولا رأيه كرأيک ، وانّما فعلت ما فعلت ابقاءً عليكم .»[١٤٩] .

٤ـ الابقاء على امة محمد (ص) من الهلاک

حيث ان الامام الحسن (ع) رأى الخطر الدّاهم الذى كان يهددّ اصل الاسلام باجتثاث المسلمين ، رأى ان الصلح هو السبب الوحيد للابقاء على الامة الاسلامية .

فقد روى عنه(ع) انه قال : « انّى خشيت ان يجتث المسلمون عن وجه الارض ، فأردت أن يكون للدين ؟؟»[١٥٠] .

ويؤيد هذا النص ما ذكرناه من كلام اليعقوبى فى استعداد ملک الروم للزحف على المسلمين ابان تقاتل الصّفين .

[١٤٩] ـ انساب الاشراف ج٢٨٩/٣ .
[١٥٠] ـ بحار الانوار ، ١٠ / ١٠١ .

مواجهة الامام الحسن (ع) للمخالفين بحلم وعطف

بعد أن رجع الامام الحسن (ع) من قضية الصلح الى المدينة مما برز من اخلاقه الكريمة هو حلمه ومواجهته الكريمة مع المخالفين ، الامر الذى سبب اهتداء كثيرين الى الحقّ ، وفى هذه المواجهة دروس وعبر ما يكفينا فى امر رعاية الوحدة الاسلامية مع المخالفين .

ممّا روى فى ذلک انه « روى ابن عائشة قال : دخل رجل من اهل الشام المدينة فرأى رجلاً بغلة حسنة ، قال : لم أر أحسن منه ، فمال قلبى اليه فسألت عنه ، فقيل لى : انه الحسن بن على بن ابى طالب (ع) فامتلأ قلبى غيظاً وحنقاً وحسداً أن يكون لعلى (ع) ولد مثله ، فقمت اليه فقلت : أنت ابن على بن أبى طالب ؟ فقال : أنا ابنه ، فقلت : أنت ابن من و من ومن ؟ وجعلت اسبّه وأنال منه ومن أبيه ، وهو ساكت ، حتى استحييتُ منه ، فلما انقضى كلامى ، ضحک وقال : أحسبک غريباً شامياً ؟ : فقلت : اجل ، قال : فقم معى ان احتجت الى منزل أنزلناک ، والى مال أرفدناک وإلى حاجة عاوناک ، فاستحييت منه وعجبت من كرم أخلاقه فانصرفت وقد صرت أحبة بما لا أحب أحداً غيره »[١٥١] .

[١٥١] ـ كشف الغمة ج٢ /١٥٤ .

الوحدة الاسلامية فى سيرة الامام الحسين (ع)

كان الامام الحسين (ع) هو الامام المفترض الطاعة بعد اخيه الحسن (ع) . وقد عاش فى عهد معاوية عشر سنين ، واستمر على النهج الذى بدأه اخوة الامام الحسن ، فى الهدنة والمصالحة ، وان كان شديد اللهجة فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ضدّ معاوية وأنه لام بنى امية لتصحيح ما اعوج من امور المسلمين وتوعيتهم بظلم السّلطة الظالمة لكن ما كان الامام الحسين (ع) يجاوز الحدود السّلمية فى مخالفته لبنى اميّةُ ، وكان يواجه الذّين يطلبون منه الثورة بما سنّه اخوه الامام الحسن (ع) ، وهذا الامر يدلّ على ان موقفه مع اخيه واحد ، على خلاف ما روى بعض الرواة من انه كان يخالف ذلک النهج ، والدّليل على ذلک انه لو كان مخالفاً لنهج الصّلح لثار ضدّ معاوية بعد شهادة اخيه الحسن (ع).

روى البلاذرى انه « لما توفى الحسن بن على اجتمعت الشيعة ومعهم بنوجعدة بن هبيرة بن أبى وهب المخزومى ، وام جعدة هى ام هانى بن أبى طالب ، فى دار سليمان بن صرد ، فكتبوا الى الحسين (ع) كتاباً بالتعزية وقالوا فى كتابهم : ان الله جعل أعظم الخلف ممّن مضى ، وعن شيعتک المصابة بمصيبتک ، المحزونة بحزنک ، المسرورة بسرورک ، المنتظرة لامرک .

وكتب اليه بنو جعدة يخبرونه بحسن رأى اهل الكوفة فيه ، وحبهم لقدومه وتطلعهم اليه ، وأن قد لقوا من أنصاره واخوانه من يرضى هديه، . و يُطمأن الى قوله ، ويعرف نجدته وبأسه ، فأفضوا اليهم بما هم عليه من شأن ابن ابى سفيان والبراءة منه ، ويسألونه الكتاب اليهم برأيه .

فكتب اليهم : انّى لأرجوا أن رأى أخى رحمة الله فى الموادعة ورأيى فى جهاد الظلمة رشداً وسداداً ، فالصقوا بالارض ، واخفوا الشخص ، واكتموا الهدى واحترسوا من الأظناء مادام ابن هند ، فان يحدث به حدث وأنا حى يأتيكم رأيى إن شاءالله. »[١٥٢] .

[١٥٢] ـ انساب الاشراف ج٣ / ٣٦٦ .

اقتداء الحسنين(ع) بصلاة مروان بن الحكم

ان من سيرة الائمة المعصومين انهم كانوا كانوا يقتدون بأئمة الجور فى صلاتهم حفاظاً على الوحدة الاسلامية وتجنباً من الفرقة ، وكان ذلک من مصاديق التقية المداراتيّة او الخوفية فى بعض المواطن.

ومن ذلک ما رواه الراوندى فى نوادره باسناده عن موسى بن جعفر (ع) ، عن ابيه (ع) قال : كان الحسن والحسين (ع) يصليّان خلف مروان بن الحكم ، فقالوا (لولد) احدهما : ما كان ابوک يصلّى اذا رجع الى البيت ؟ فقل : لا والله ما كان يريد الصلاة .»[١٥٣] .

[١٥٣] ـ بحار الانوار ج٤٤ /١٢٣ .

ثورة الامام الحسين (ع) ضد يزيد بن معاوية

امّا ثورة الامام الحسين (ع) ضدّ يزيد فلا يمكن ان يستند ايها فى نفى لزوم مراعاة الوحدة الاسلامية ، وذلک لان الوحدة الاسلامية انما تكون مطلوبة من اجل الحفاظ على اصل الاسلام ومصالح المسلمين ، ولكن حينما يتعرض اصل الاسلام الى الخطر فلا معنى لمراعاة الوحدة الاسلامية والهدنة والتقية وما شاكل ذلک من عناوين اوليّة ثانوية . والذى حدث فى زمن يزيد هو تعرض اصل الاسلام لذلک الخطر وقد أحسن بذلک الامام الحسين (ع) فأبى مبايعته وقال بالحرف الواحد : « فعلى الاسلام السّلام اذا بليت الامة براعٍ مثل يزيد ولقد سمعت جدى رسول الله (ص) يقول الخلافة محرّمة على آل ابى سفيان فاذا رأيتم معاوية على منبرى فابقروا بطنه وقد رآه اهل المدينة على المنبر فلم يبقروا بطنة فابتلاهم الله بيزيد الفاسق »[١٥٤] .

وحيث انه ما كانت فى عنقه بيعته ليزيد هاجر من المدينة الى مكة . وحينما كثرت الرّسائل من اهل الكوفة ما رأى بدّاً من الذهاب الى الكوفة واجابة دعواتهم تجسيداً لوظيفة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولمّا خان به اكثر اهل الكوفة وحوصر من قبل قوّات بنى امية وأرادوا منه الاستسلام فابى الاستسلام لما فيه من الذلّ ومعصية الجبّار وانهدام الاسلام حيث قال : « ألا وان الدعى بن الدعى قد ركز بين اثنين بين المذلة وهيهات عن الذلة بأبى الله لنا ذلک ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وانوف حميّة ونفوس ابيته من ان نواثر طاعة اللنام على مصارع الكرام»[١٥٥].

وقد نجح الامام الحسين (ع) بثورته العارمة اذا احيا الاسلام بذلک وفضح المخطط الاموى الذى كان يهدف القضاء على الاسلام وبقى علم سيد الشهداء يرفرف على طول النتاريخ مناراً لاحرار العالم .

---

[١٥٤] ـ مقتل الامام الحسين (ع) للمقرّم ص١٤٦ ـ ١٤٧ ، عن اللهوف ص ١٣ ؟؟؟؟ /١٠ ـ ومقتل الخوارزمى ج١ /١٨٥ فصل ٩ .

[١٥٥] ـ ـ المصدر ص ٢٨٧ .

الوحدة الاسلامية فى سيرة الامام زين العابدين (ع)

سار الامام على بن الحسين (ع) بسيرة ابيه وعمّه تجاه الامة الاسلامية يحفظ وحدتها واحترام الاخرين . فكان عليه السلام يدعوا للغزاة ولاهل الثغور مع ما أن نظام السلطة كان بيد اعدائه الذين قتلوا أباه الحسين (ع) وكان يسبّون جدّه اميرالمؤمنين (ع) .

وكان من دعائه (ع) لاهل الشغور :

اللهم صلّ على محمّد وآله ، وحصن ثغور المسلمين بعزّتک وأيد حماتها بقوتک واسبغ عطاياهم من حدتک .

اللهم صلّ على محمّد آله ، وكثّر عدّتهم و اشخذ اسلحتهم و احرس حوزتهم وامنع حومتهم والّف جمعهم ، ودبّر امرهم ، و واتر بين ميرهم ، وتوّحد بكفاية عوانهم ، واعضدهم بالنّصر واعنهم بالخير والطف لهم فى المكر اللهم صلّى على محمد وآله ، وعرفّهم ما يجهلون ، وعلّمهم ما لا يعلمون ، و بصّرهم ما لا يبصرون ...»[١٥٦] .

[١٥٦] ـ الصحيفة السجّادية ، الدّعاء / ٢٧ .

تخطيط الامام السجاد (ع) للاستقلال الاقتصادى للامّة الاسلاميّة

انّ الامام زين العابدين (ع) وان كان يرى حكام بنى امية غاصبين ولا يجوز معاونتهم ، الّا انه حينما رأى الاسلام فى خطر زمن عبدالملک حيث واجهه ملک الروم بخطّة خبيثة تهين المقدّسات الاسلامية ، واضطر الملک الاموى الى مراجعة الامام السجّاد (ع) فقام الامام (ع) باقتراح اقتصادىّ احبط بذلک المخططّ الرومى ضد الاسلام .

والقصّة كما رواها الرواة بما يلى :

كانت قطع من القماش تصدّر من البلدان الاسلاميّة الى الروم فى زمن عبدالملک بن مروان وقد نقش عليها بشعار الاسلام وهو :

« لا اله الّا الله ، محمد رسول الله (ص) » . وقد ثقل هذا الامر على ملک الروم فارسل رسالة الى عبدالملک واقترح عليه حذف ذلک الشعار والّا فسوف يكتب على السّكة المضروبة الروميّة بما يسبّ به رسول الله (ص) . وكان سوق المسلمين آنذاک قائماً على التّعامل بالسّكّة الروميّة . فتحيّر عبدالملک وعجز عن الخروج من الازمة ، فلجأ الى الامام زين العابدين (ع) ، و لمّا رأى الامام (ع) الخطر محدقاً بالاسلام غار لذلک وكتب رسالة الى عبدالملک خلّصه وخلّص الامة من ذلک المأزق والرّسالة تضمنت اقتراحاً اقتصادياً ، وهو ان يعلن عبدالملک منع التعامل بالسّكة الروميّة وأن يقوم بضرب السّكة الاسلامية وعلّمه كيفية الضرب [١٥٧] .

وبهذا الاقتراح استقلت الامّة الاسلامية اقتصادياً من الرّوم وبائت خطة الملک الرّومى بالفشل .

[١٥٧] ـ نقش امام سجاد (ع) در رهبرى شيعه ، محسن رنجبر / ١٩٣ ـ ١٩٤ / عن البيان للشهيد الاول ص ٩٨٧ البداية والنهاية لابن كثير١٢٢/٩ ـ ضرب النقود فى الاسلام للسيد مرتضى العاملى ص ١٤١ ـ ١٥٤ .

الوحدة الاسلاميّة فى سيرة الامام الباقر (ع)

انّ الامام الباقر (ع) حينما تصدّى للامامة الكبرى بعد ابيه زين العابدين (ع) ، استمر بنهج ابيه فى تربية الشيعة وحثّهم على تحسين العلاقات مع اخوانهم من اهل السّنة وامرهم بالمشاركة فى الجماعات والجمعة والاعياد وردّ الامانات وصدق الحديث وحسن المعاشرة بحيث يكونوا النموذجيين فى كل القيم الالهية فى المجتمع الاسلامى .

روى الكلينى بسنده عن الامام الصادق (ع) انه قال : « فوالله لحدّثنى ابى (ع) أن الرّجل كان يكون فى القبيلة من شيعة على (ع) فيكون زينها ، آداهم للامامة ، وأقضاهم للحقوق ، وأصدقهم للحديث ، اليه وصاياهم و ودائعهم تسأل العشيرة عنه فتقول : من مثل فلان ؟ انّه لآدانا للامانه وأصدقنا للحديث .»[١٥٨] .

وكان الامام الباقر (ع) يوصى شيعته بالانبساط الى عامّة النّاس وحسن العشرة معهم .

روى الكلينى بسنده عن احدهما (ع) قال : الإنقباض من النّاس مكسبة للعداوة »[١٥٩] .

وكان الامام الباقر (ع) يناظر فى مجالسه المخالفين باسلوب هادى وموضوعى ينتهى الى ان يذعن له المخالفون ، كما جرى فى كلامه مع محمد بن المنكدر حينما جاء ليعظه وكان يعمل بالمسحاة فى الحّر فى نواحى المدينة ، فقال جئت اليک لأعظک فوعظتنى [١٦٠] .

ومن احتجاجاته كلامه مع نافع بن الازرق من رؤساء الخوارج ومع ابنه عبدالله فى قضية التحكيم ، واذعانهم بالحق وان الله اعلم حيث يجعل رسالته [١٦١] .

---

[١٥٨] ـ اصول الكافى ج ٢/ ؟؟ ، كتاب العشرة ، باب ما يجب من المعاشرة ج٥ .
[١٥٩] ـ اعيان الشيعة ج٦٥٢/١ .
[١٦٠] ـ المصدر .
[١٦١] ـ المصدر ص٦٥٣ .

ومن احتجاجاته مناظرته مع قتادة بن دعامة البصرى واعترافه بانه من مصاديق فى بيوت اذن الله ان ترفع [١٦٢] .

ومنها احتجاجه على عبدالله بن معمر الليثى واعترافه بان صدور اهل البيت منابت اشجار العلم [١٦٣] .

وكانت علاقاته بالحكّام علاقة النصح والموعظة ، ومن ذلک نصائحة لعمر بن عبدالعزيز بقوله : « اتق الله عزوجل يا عمر ، وافتح الابواب وسهّل الحجاب وانصر المظلوم وردّ المظالم ، وقوله له: ثلاث من كنّ فيه استكمل الايمان بالله ، فجثا عمر على ركبتيه ثم قال : ايه يا اهل بيت النبوة . فقال يا عمر من اذ ارضى لم يدخله رضاه فى الباطل ، واذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق ومن اذا قدر لم يتناول ما ليس له »[١٦٤] .

[١٦٢] ـ المصدر .
[١٦٣] ـ المصدر .
[١٦٤] ـ الخصال ج١ /١٠٤ .

الوحدة الاسلامية فى سيرة الامام الصّادق (ع)

يمكن فهم اهميّة الوحدة الاسلامية فى سيرة الامام الصادق (ع) من خلال التأمل فى عدة محاور .

الاوّل : فتح المجال لعامة النّاس وخاصّة علماء المذاهب الاسلامية للانتهال من منهله العذب وتكريمهم ورعاية حرمتهم .

فقد اشتهر عن ابى حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى الكابلى (٨٠ ـ ١٥٠ هـ)، انه قال : « لو لا السنتان لهلک النعمان » ، اى لو لا السنتان اللتان تتلمذ فيهما على يد الصادق (ع) لهلک ابوحنيفة! و روى الشيخ الصدوق بسنده عن مالک بن أنس فقيه المدينة انه يقول : كنت أدخل على الصادق جعفر بن محمد (ع) فيقدم لى مخدّة ويعرف لى قدراً ويقول : يا مالک إنى أحبّک ، فكنتُ أسرُّ بذلک وأحمد الله عليه ، وكان (ع) لا يخلو من احدى ثلاث خصال : امّا صائماً وامّا قائماً وامّا ؟؟؟ ، وكان من عظماء العبّاد و أكابر الزُّهاد و الذين يخشون الله عزّوجل ، وكان كثير الحديث ، طيّب المجالسة ، كثير الفوائد . فاذا قال ، قال رسول الله (ص) ، اخضرّ مرّة واصفرّ اخرى حتّى ينكره من يعرفه ، ولقد حججتُ معه سنة فلمّا استوت به راحلته عند الاحرام ، كان كلمّا همّ بالتلبيّة انقطع الصوت فى حلقه ، وكاد أن يقع من راحلته ، فقلت : قل يا ابن رسول الله ، فلابد لک من أن تقول ، فقال (ع) : يا ابن أبى عامر كيف أجسر أن أقول : « لبيک اللهم لبيّک » وأخشى ان يقول عزّوجل لى : « لا لبيک ولا سعديک »[١٦٥] .

كانت لسفيان الثورى علاقة مع الامام الصادق (ع) ورواية عنه ، فقد روى الشيخ الصدوق بسنده عنه، انه قال : لقيت الصادق بن الصادق جعفر بن محمد (ع) ، فقلت له : يا ابن رسول الله أوصنى

[١٦٥] ـ الخصال ، باب الثلاثة حديث ٢١٩/ ص١٦٧ .

فقال لی : یا سفیان لا مرواة للذوب ، ولا أخ لملوک ولامة لحسود ، ولاسؤد و ؟؟؟ الخلق ، فقلت : یا ابن رسول الله زدنی »[١٦٦] .

الثانی : علاقته بالحکّام

کان الامام الصّادق (ع) قلیل العلاقة بالحکّام الظّلمة بلا شک ، ومع دلک فحینما یتفق لقاؤه بهم ،فانّه کان یحترمهم ویظهرا التّودد والنصیحة لهم .

فقد روی العلامة المجلسی عن کتاب الاحتجاج باسناده انّ اباعیدالله الصادق استحضره المنصور ونقل قول الوشاة عنه فنکلم الامام (ع) بما رفع الشبهة عن ذهن المنصور ثم قال (ع) : ونحن لک لانصار وأعوان ، ولملکک دعائم وأرکان ، ما امرت بالمعروف والاحسان وأمضیت فی الرّعیة أرکان القرآن ، وأرغمت بطاعتک أنف الشیطان ، وان کان یجب علیک فی سعة فهمک وکرم حلمک ومعرفتک بآداب الله أن تصل من قطعک وتعطی من حرمک ، وتعفو عمّن ظلمک ، فانّ المکافئ لیس بالواصل ، انّما الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها ، لعل یزداد فی عمرک و یخفف عنک الحساب یوم حشرک .

فقال المنصور : قبلت عذرک بصدقک ، وصفحت عنک لقدرک فحدثنی عن نفسک بحدیث أتعّظ به ...»[١٦٧] .

الثالث : نهی الشیعة عن توسیع دائرة الکفاح المسلّح ضدّالحکّام

روی الکلینی بسنده ، ان ابا عبدالله (ع) قال : کفوا ألسنتکم والزموا بیوتکم ، فانه لا یصیبکم أمر تخصّون به أبداً ولا تزال الزیدیة لکم وقاءً أبداً »[١٦٨] .

---

[١٦٦] ـ المصدر باب الثلاثة ، الحدیث ٢٢٢ ص ١٦٩ .
[١٦٧] ـ البحار ج ١٠ /٢١٨ . ، کتاب الاحتجاج ، باب احتجاجات الصادق (ع) الحدیث ١٨.
[١٦٨] ـ الکافی ج٢ ، کتاب الایمان والکفر ، باب الکتمان ح١٣ .

الرّابع : امره الشيعة بحسن العشرة والتربية الصحيحة ومنها :

الحضور فى الجماعات مع العامّة .

روى الكلينى بسنده عن هشام الكندى قال : سمعت ابا عبدالله (ع) يقول : إياكم ان تعملوا عملاً يعيّرونا به ، فانّ ولد السوء يعيّرَ والده بعمله . عودوا مرضاهم ، واشهدوا جنائزهم ، ولا يسبقونكم الى شئ من الخير أنتم أولى به منهم . والله ما عبدالله بشئ أحب اليه من الخبء .

قلت : وما الخبءُ؟ قال : التقية .»[١٦٩] .

وروى عنه (ع) انه قال : عليكم بالصلاة فى المساجد وحسن الجوار للناس واقامة الشهادة وحضور الجنائز . انه لابد لكم من الناس ، ان احداً لا يستغنى عن الناس حياته والناس لابد لبعضهم عن بعض »[١٧٠] .

وروى ايضاً بسنده عن معاوية بن وهب قال : قلت له : كيف ينبغى لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وبين خلطائنا من الناس ممن ليسوا على أمرنا ؟ قال : تنظرون الى ائمتک التذين تقتدون بهم فتصنعون ما يصنعون ، فوالله انهم ليعودون مرضاهم ويشهدون جنائزهم ويؤدّون الشهادة لهم وعليهم ويؤدون الأمانةاليهم »[١٧١] .

وروى الشيخ الصدوق باسناده عن حمّادبن عثمان عن ابى عبدالله (ع) انه قال : من صلّى معهم فى الصفّ الاول كان كمن صلّى خلف رسول الله (ص) فى الصف الاول .»[١٧٢] .

وروى ايضاً عن الصادق (ع) قال : اذا صليت معهم غفر لک بعدد من خالفک »[١٧٣] .

---

[١٦٩] ـ المصدر ، باب التقية ح ١١ .
[١٧٠] ـ المصدر كتاب العشرة ، ما يجب من المعاشرة ، الحديث ١ .
[١٧١] ـ المصدر ج٤ .
[١٧٢] ـ وسائل الشيعة ، كتاب الصلاة ، ابواب صلاة الجماعة الباب ٥٦ح١ .

و روى الشيخ الطوسى فى التهذيب بسنده عن اسحاق بن عمّار قال : قال الى ابوعبدالله (ع) : يا اسحاق أتصلّى معهم فى المسجد ؟ قلت : نعم ، قال : صلّ معهم فان المصلىّ معهم فى الصف الاول كالشاهر سيفه فى سبيل الله »[١٧٤] .

ولا شک ان هذه الاحاديث وردت من باب التقيّة المداراتية ، لا فقط من باب التقيّة الخوفيّة ، ويقصد بالمداراتية هو رعاية الوحدة الاسلامية .

وعلى ذلک افتى علماء الشيعة برجحان حضور الشيعة فى جماعات اهل السنة بل لزومها فى بعض الظروف و الاماكن .

[١٧٣] ـ المصدر ح٢ .
[١٧٤] ـ المصدر ح٧ .

الوحدة الاسلامية فى سيرة الامام الكاظم (ع)

كان الامام كاظم (ع) يعيش ظروفاً قاسيةً بسبب ظلم خلفاء بنى العباس سواء كان فى عصر المنصور او المهدى او الهادى والرشيد ، وقد اودع السجن عدّة سنين ، واستشهد مسموماً فى السجن ، ودفن فى مقابر قريش ببغداد . ومع ذلک فقد كان يراعى الوحدة الاسلامية ويعمل بالتعايش السّلمى مع المخالفين بل كان يتحبب اليهم ويتألف قلوبهم .

ممّا روى فى ذلک : « ان رجلاً من ولد عمر بن الخطاب كان بالمدينة يؤذى أبالحسن موسى (ع) ويسبّه اذا رآه ويشتم علياً (ع) ، فقال أصحابه : دعنا نقتل هذا الفاجر ! فنهاهم عن ذلک وزجرهم أشدّ الزّجر . وسأل عن العمرى ، فقيل : انه خرج الى زرع له ، فخرج اليه ودخل المزرعة بحماره فصاح به العمرى لا توطئ زرعنا ، فوطأه ابوالحسن (ع) بالحمار حتّى وصل اليه ، فنزل وجلس عنده وباسطه وضاحكه وقال : كم غرمت على زرعک هذا ؟ فقال : مائتى دينار ، فقال :كم ترجوا أن تحصل منه ؟ قال : لست أعلم الغيب ، قال : انما قلت : كم ترجو أن يجيئک فيه ؟ قال : أرتجى فيه مائتى دينار ، قال : فاخرج له ابوالحسن (ع) صرة فيها ثلاثمائة دينار . قال : هذا زرعک على حاله والله يرزقک ما ترجوا ، قال : فقام العمرى فقبل رأسه وسألة أن يصفح عنه ، فتبسّم اليه ابوالحسن (ع) وانصرف وراح الى المسجد ، فوجد العمرى جالساً فلمّا نظر اليه ، قال : الله أعلم حيث يجعل رسالته . قال : فوثب اليه اصحابه فقالوا : ما قصّتک ، قد كنت تقول غير هذا ؟ فقال لهم : قد سمعتم ما قلت الآن ! وجعل يدعو لأبى الحسن (ع) ، فخاصموه وخاصمهم ، فلمّا رجع ابوالحسن (ع) الى داره قال لأصحابه الذين أشاروا بقتل العمرى : كيف رأيتم أصل أمره لغيّت شدّه؟ »[١٧٥] .

[١٧٥] ـ كشف الغم للاربلى ج٣/١٩ـ ٢٠ .

ومن نماذج اخلاقه ملازمتة لصلاة الجمعه والتّبكير لها وحثّ اصحابه على المسارعة اليها . وكان يتهيّأ للمشاركة فى صلاة الجمعة منذ يوم الخميس ، وفى رواية كان يقول لاصحابه : انكم تتسابقون الى الجنة على قدر سبقكم الى الجمعة » [١٧٦] .

وقد روى مثل ذلک فى امر التبكير لصلاة الجمعة[١٧٧] عن ابى جعفر الباقر (ع) والامر بالتسابق عليها عن ابى عبدالله[١٧٨] .

[١٧٦] ـ الشافى ١٩/٢ ـ مجلة رسالة التقريب العدد ٣٣ ص٢٠٧ ـ مقالة الصلة الاسلامية فى منهج اهل البيت (ع) بقلم شهاب الدين الحسينى .
[١٧٧] ـ الوسائل ج٥ كتاب الصلاة ، ابواب صلاة الجمعة الباب ٢٧ ح ٢ .
[١٧٨] ـ المصدر الباب ٤٢ ، ح١ .

الوحدة الاسلامية فى سيرة الامام الرضا(ع)

ان الامام على بن موسى الرضا (ع) قدّر له بان يتولى ولاية العهد زمن المأمون ، وهو وان شرط على المأمون بان لا يأمر ولا ينهى ولا يتدخل فى شؤون الحكومة بالعزل والنصب وما شاكل ذلک ، لكنّه كان يدعوا شيعته الى حفظ النظام والوحدة وكان يواجه بشدّة اخاه زيد النار الذى أثار ثورة ضد المأمون العباسى .

روى الصدوق بسنده عن ابن ابى عبدون ، عن ابيه ، قال : لمّا جئ بزيد بن موسى(ع) ، أخى الرضا (ع) الى المأمون وقد خرج بالبصرة وأحرق دور العباسيّين ، وذلک فى سنة تسع وتسعين ومائة ، فسمىّ زيد النّار ، قال له المأمون يا زيد ! خرجت بالبصرة وتركت ان تبدأ بدور اعداءنا من بنى اميّة وثقيف وغنىّ وباهلة وآن زياد وقصدت دور بنى عمک ؟ قال : وكان مزّاحاً ـ أخطأت يا اميرالمؤمنين من كلّ جهة ، وإن عدتُ بدأتُ باعداءنا ، فضحک المأمون وبعث به الى أخيه الرّضا(ع) ، وقال : قد وهبت جرمه لک ، فلمّا جاؤا به عنّفه وخلّى سبيله وحلف ان لا يكلمّه أبداً ما عاش .»[١٧٩] .

وروى ايضاً بسنده عن الحسن بن الوشّاء ، قال : كنت عند الرّضا (ع) وعنده زيد بن موسى أخوه ، وهو يقول : يا زيد اتقّ الله ، فانّه بلغنا ما بلغنا بالتقوى ، ، فمن لم يتقّ الله ولم يراقبه فليس منّا ولسنا منه ، يا زيد ايّاک ان تهين من به لقول من شيعتنا فيذهب نورک ، يازيد انّ شيعتنا انمّا أبغضهم الناس وعادوهم واستحلوا دماءهم واموالهم لمحبتهم لنا واعتقادهم لو لايتنا ، فان أنت أسأت اليهم ظلمت نفسک وبطّلت حقّک .»[١٨٠] .

وكان الرضا (ع) لا يألوا الجهد فى نصح المأمون وارشاده الى ماهو الصلاح فى الامة الاسلاميّة .

---

[١٧٩] ـ عيون اخبار الرضا (ع) ج٢ باب ٥٨ قول الرضا(ع) لاخيه زيد بن موسى ، ح٢.
[١٨٠] ـ المصدر ح٦ .

ومن ذلک ما رواه الصدوق (ع) انّه لما فتحت قرية من قرى كابل جاء المأمون مسروراً والتقى بالامام الرضا(ع) فقال (ع) : و أسرّک فتح قرية من قرى الشرّک ؟ فقال له المأمون : أوليس فى ذلک سرور ؟ فقال : يا اميرالمؤمنين اتقّ الله فى امّة محمد (ص) وما ولّاک الله من هذا الامر وخصّک به ، فأنک قد وليت امور المسلمين وفوّضت ذلک الى غيرک يحكم فيهم بغير حكم الله وقعدت فى هذه البلاد وتركت بيت الهجرة ومهبط الوحى ، وان المهاجرين والانصار يظلمون دونک ولا يرقبون فى مؤمن الّا ولا ذمّة ويأتى على المظلوم دهر يتعبُ فيه نفسه ويعجز عن نفقته ولا يجد من يشكو اليه حاله ولا يصل اليک ، فاتقّ الله يا اميرالمؤمنين فى امور المسلمين وارجع الى بيت النبوة ومعدن المهاجرين والانصار أما علمت يا اميرالمؤمنين والى المسلمين مثل العمود فى وسط الغسطاط من اراده أخذه ؟...»[١٨١] .

سيرة سائر الائمة الاطهار (ع)

والذى ينظر بامعانٍ الى سيرة سائر الائمة الاطهار (ع) من الامام ابى جعفر (ع) والامام ابى الحسن الهادى و الامام الحسن العسكرى (ع) يراها منطبقة على المنهج الذى رسمه آبائهم المعصومون (ع) من مراعاةالوحدة الاسلامية وتربية الشيعة على حسن العشرة مع الآخرين والتعايش السّلمى .

[١٨١] ـ المصدر ج٢باب ٤٠ باب السبب الذى من اجله قبل على بن موسى (ع) ولاية العهد ، الحديث ٢٣ .

الوحدة الاسلاميّة فى سيرة علماء الشيعة

انّ من تتبّع سيرة اعلام علماء الشيعة من المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين ، يراها طافحة بالنشاط العلمى والدينى الهادئ والبعيد عن العصبية والمراء ، و مشحونة بالمواقف المشّرفة فى سبيل الحفاظ على الوحدة الاسلاميّة واحترام ابناء المذاهب الاسلامية وايجاد العلاقات الوديّة مع علماء الطو ائف الاخرى . فتراهم يتتلمذون على علماء اهل السّنّة ويروون احاديثهم ، كما كان كثير من علماء اهل السّنّة يتتلمذ على ايديهم ويصفونهم بالعلم والتقوى والوثاقة ، مضافاً الى فتاواهم بلزوم المشاركة مع ابناء اهل السّنّة فى صلواتهم وجوامعهم وتشييع موتاهم وعيادة مرضاهم حسب ما امرهم به ائمة الهدى (ع) ، كما كانوا يحرّمون النيل من مقدّسات اهل السنّة ويطردون المتطفّلين الذين يسعون بتأجيج نار الفتن بين المسلمين . وكانوا اذا أرادوا الدّفاع عن مبانى مذهبهم لا يستعملون الّا الاساليب العلميّة والموضوعية بلا تجريح للمقابل و ايّ نيل من مقدسات اهل السّنّة والجماعة ، وفى المقابل نرى اعلاماً كثيرة من علماء اهل السنة يتعاملون مع اعلام الشيعة بالمعاملة الحسنة مقابلة بالمثل . وهذا الواقع المشرّف كان متواصلاً بين الاعلام من الطائفتين ، وان كان السّفلة منهما وبعض الحّكام من اهل السّنّة كانوا يقومون بتأجيج نيران الفتن المذهبية التّى كانت تستعربين آوانه واخرى ويذهب ضحيتها آلاف من الابرياء .

واليكم الآن نماذج من سيرة أعلام علماء الشيعة حول الوحدة الاسلامية والتقريب بين المذاهب .

١ـ السفير الثالث من سفراء الامام المهدى (ع)فى الغيبة الصغرى

هو الشيخ ابوالقاسم الحسين بن روح النوبختى (المتوفى ٣٢١ هـ) وهو ثالث السفراء الاربعة للامام المهدى (ع) فى الغيبة الصفرى ، كان فقيهاً مفتياً بليغاً فصيحاً وافر الحرمة ، كثير الجلالة ، ذاعقل وكياسة ، تولىّ السفارة بعد وفاة ابى جعفر العمروى سنة خمس وثلاثمائة ، فحفّ به الشيعة وعوّلوا عليه فى امورهم ، وحملوا اليه الاموال وكثرت غاشيته حتى كان الأمراء والوزراء والأعيان يركبون اليه وتواصف الناس عقله و فهمه .

وقد جرت بينه وبين حامد بن العباس وزيرا المقتدر العباسى امور و خطوب ، ثم أخذو سجن ، ثم اطلق وقت خلع المقتدر (سنة ٣١٧ هـ) فلما أعادوه الى الخلافة ، شاوروه فيه ، فقال : دعوه فبخطيئته أُوذنيا .

قال ابن ابى طىّ : وبقيت حرمته الى أن مات فى سنة ست وعشرين وثلاثمائة وقد كاد أمره أن يظهر .[١٨٢] .

وقال الشيخ الطوسى : وكان ابو القاسم رحمه الله من أعقل الناس عند المخالف والموافق ويستعمل التقيّة ... .

قال ابونصر هبة الله بن محمد : حدّثنى ابوالحسن بن كبرياء النوبختى ، قال: بلغ الشيخ اباالقاسم ـ رضى الله عنه ـ أنّ بواباً كان له على الباب الأوّل وقد لعن معاوية وشتمه ، فأمر بطرده و صرفه عن خدمته ، فبقى مدّة طويلة يسأل فى أمره ، فلا والله ماردّه الى خدمته ، أخذه بعض الأهل (الآهلة) فشغله معه ، كلّ ذلک للتقيّة »[١٨٣] .

---

[١٨٢] ـموسوعة طبقات الفقهاء ، تحت اشراف الغيظة العلامة جعفر السبحانى ج٤ /١٦٦ ـ ١٦٧ .
[١٨٣] ـ الغيبة ، للشيخ الطوسى ص٢٦٠ ، طبع دار الكتب الاسلامية طهران ـ ١٤٢٣ ق .

والسّر فى موقف النوبختى تجاه الشاتم لمعاوية واضح ، وذلک لان معاوية يعدّ من الصحابة ، والصحابة عدول كلهم عند المشهور من اهل السنّة ، فلا يجوز لعنه ولا شتمه عندهم ، فهو من المقدسات عندهم ، وحيث ان النوبختى كان مرجعاً للشيعة وباب الامام الحجة (ع) ، وكان الناس حتى المخالفين ومنهم ارباب الحكم ، يفدون اليه ، فلو اشتهر عندهم بان بوابه يشتم معاوية لاختلّت اموره ، وحصل بذلک ضرر عظيم ، وقد تلافى ذلک بطرده لذلک البّواب وعدم قبول شفاعة الشافعين فيه .

٢ـ الشيخ الكلينى (ره) (٢٥٥ ـ ٣٢٩ هـ)

محمدبن يعقوب بن اسحاق ابو جعفر الكلينى الرازى البغدادى ، صاحب « الكافى » احد الكتب الاربعة عندالشيعة الامامية .

عاش فى عصر السفراء الاربعة للامام المهدى (ع) وعنى بطلب الحديث ، وروى عن طائفة من علماء مدرسة اهل البيت (ع) ثم علا شأنه ولمع نجمه ، فصار شيخ الشيعة بالرى ، ثم نزل بغداد فى اواخر عمره وحدّت بها [١٨٤] .

وقام بتدريس الكافى فى بغداد ، ثم رحل الى دمشق وطرابلس ، واجتمع هناك عليه محدثوا اهل السنة وضبطوا احاديث منه .

وان ابن عساكر ترجم له فى كتابه تاريخ دمشق وقال : ان محمّد بن يعقوب الكلينى دخل دمشق وروى احاديث عن ابى الحسن محمد بن على السمرقندى ومحمد بن احمد خفّاف النيسابورى ، كما ان العلماء هناك كتبوا احاديثه ، وقد روى ابن عساكر عنه بثلاث وسائط احاديث ، منها قوله (ص) : « اعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله » .

[١٨٤] ـ تاريخ دمشق ، ٥٦ /٢٩٧ .

٣ـ الشيخ الصدوق (٣٠٦ ـ ٣٨١ هـ)

محمدبن علىّ بن الحسين بن موسى بن بابويه ، شيخ المشايخ ، ورئيس المحدثين ابو جعفر القمّى ، نزيل الرّى المعروف بالصدّوق ، مصنّف كتاب « من لا يحضره الفقيه » احد اصول الاربعة التى يرجع اليها علماء الشيعة .

ولد هو واخوه بدعوة الامام المهدى (ع) على يد السفير الحسين بن روح . واجب العلم وطلب الحديث ، فنشأ برعاية والده وتتلمذ عليه وعلى شيوخ بلدته ، ثم انتقل الى الرىّ واقام بها ، ثم قام هو برحلة واسعة ، وقطع المسافات البعيدة فى سبيل خدمة الدين واعلاء كلمته ، وذاع صيته ، وعظم شأنه ، وعقد المجالس وصنفّ . وقد وصفه الذهبى برأس الامامية . وقال : يضرب بحفظه المثل .

وكان ورد بغداد سنة ٣٥٢ هـ وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السنّ ثم زار الكوفة سنة ٣٥٤ هـ ثم حجّ الى مكة ثم جاء همدان ، ثم رحل الى ماوراء النهر ... »[١٨٥]

وقد روى الصدوق ع مأتينى ؟؟/ محدثاً كان بعضهم من اعلام المحدثين من اهل السنة كابى نصر احمد بن حسين البرغانى فى كتابه الخصال وغيره . كما ان بعض محدّثى اهل السنّة كانوا يردون عن الشيخ الصدوق ، مثل محمد بن طلحة منمشايخة الخطيب البغدادى المتوفى ٤٦٣هـ .

وابى ابكر محمد بن على بن احمد .

وقد اصدر فتوىً مهمة بالنسبة الى حرمه النيل من مقدّسات اهل السنة وهى قوله :

[١٨٥] ـ موسوعة طبقات الفقهاء ج٤٣٢/٤ ـ ٤٣٥ .

«يجب الاجتناب عن التّنقص من متقدّسات اهل السنة الى خروج الامام المهدى (ع) والذى يقوم بسبّهم قبل ظهوره (ع) فهو خارج عن دين الله ومذهب الامامية وعاص لله لرسوله والائمة المعصومين » ١٨٦ .

[١٨٦] ـ الاعتقادات للشيخ الصدوق ص١٠٨ ، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد ، تصحيح اعتقادات الامامية ص ٥ص١٠٨ ، طبع دار المفيد ، بيرو ت الطبقة الثالثة /١٤١٢ هـ .

٤ـ الشيخ المفيد (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ)

محمد بن محمد بن النعمان بن عبدالسلام اكارثى ، ابو عبدالسلام العكبرى ، البغدادى المعروف بابن المعلم ، والمفيد .

ولد فى سنة ٣٣٦ ، و قيل ٣٣٨ « فى قرية « سويقة ابن البصرى »، التابعة لعكبر على مقربة من بغداد ، ثم انتقل به ابوه وهو صبى الى بغداد للتحصيل ، فاشغتل بالقراعة على أبى عبدالله الحسين بن على المعروف بالجُعل ، ثم ثم على أبى ياسر غلام أبى الحبيش الذى اقترح عليه أن يحضر درس المتكلم الشهير على بن عيسى الرمانى المعتزلى ، ففعل ، و روى المفيد عن طائفة من كبار المشايخ منهم : القاضى ابوبكر محمد بن عمر الجعابى ، وابو غالب احمد بن محمد الزرارى ، واحمد بن محمد بن الحسن بن الوليد ، وجعفر بن محمد بن قولويه ، وابوالحسن على بن بلال المهلّبى والشيخ الصدوق محمد بن على بابوية ، ومحمدبن أحمد الجنيد الكاتب المعروف بالاسكافى وكان شيخ الفقهاء المحدثين فى عصره ، مقدماً فى علم الكلام ، ماهراً فى المناظرة والجدل ، عارفاً بالاخبار والاثار ، كثير الرواية والتصنيف وكان له مجلس بداره بدرب رباح يحضره خلق كثير عن العلماء من يقال : له على كل امامىّ منّة .

ويعد المفيد اوّل من الف من الامامية فيذ اصول الفقه بشكل موسّع ، وصنّف كتباً كثيرة ذكر منها النجاشى (١٧٤) كتاباً [١٨٧] .

وما كان مشايخ المفيد ولا تلامذته منحصرين بالامامية ، فهو قد تتلمذ على بعض علماء اهل السنة كابى عبدالله الحسين بن على المعروف بالجُعل وكان حنفيّاً و من دعاة المعتزلة المتوفى (٣٦٩) ، و ابى الحسن على بن عيسى النحوى الرّمانى المعتزلى (٢٩٦ ـ ٣٨٤ هـ) وروى عن ابى بكر محمد

[١٨٧] ـ موسوعة طبقات الفقهاء ج٥ /٣٤٤ ـ ٣٣٦ .

بن عمر البغدادى الجعابى قاضى الموصل المتوفى ٣٥٥ هـ وفى المقابل إنّ كثيراً من علماء اهل السنّة من كافة المذاهب كانوا يحضرون مجالس درسه ويتتلمذ عنده كما صرّح بذلک ابن الجوزى فى المنتظم ، حيث قال : « كان له مجلس بداره درب رباح او رياح يحضره خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف »[١٨٨] .

قال تلميذه النجاشى : وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً وصلى عليه الشريف المرتضى بميدان الإشنان وضاق على الناس مع كبره »[١٨٩] .

وقوله يدل على حضور عامّة المسلمين من السنّة والشيعة ، كما صرّح بذلک تلميذه الآخر الشيخ الطوسى حيث قال فيه : « كان يوم وفاته يوماً له ير أعظم منه من كثرة الناس للصلاة عليه وكثرة البكاء من المخالف والمؤالف »[١٩٠]

[١٨٨] ـ المنتظم ج٥/١٥٧ .
[١٨٩] ـ رجال للنجاشى ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣ .
[١٩٠] ـ الفهرس للشيخ الطوسى الرقم ٧١١ .

٥ـ الشريف المرتضى (٣٥٥ ـ ٤٣٦هـ)

علّى بن الحسين بن موسى بن ابراهيم بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق(ع) ، الفقيه الامامى الكبير ، ابوالقاسم العلوى الموسوى ، البغدادى ، الملقّب بالشريف المرتضى وبعلم الهدى .

تلمذ هو واخوه الشريف الرضى على شيخ المفيد وروى بن موسى التتبعكرى ، واى الحسن على بن محمد الكاتب ، وابى القاسم عبيدالله بن عثمان بن يحيى ، واحمد بن سهل الديباجى وغيرهم .

وكتب عنه الخطيب البغدادى : وكان ثاقب الرأى حاضر الجواب ، غزير العلم ، قديراً فى المناظرة والحجاج ، ذاهيبة وجلالة وجاه عريض ، تولّى نقابة الطالبيّين وامارة الحج والنظر فى الظلامات لاكثر من ثلاثين سنة .

وقال الدكتور عبدالرزاق محيى الدين : كان من سابقيهم ـ يعنى الشيعة ـ دعوة الى فتح باب الاجتهاد فى الفقه ، وأسبقهم تأليفاً فى الفقه المقارن ، وانه كان واضع الأسس لاصول الفقه لديهم . ومجلى الفروق بينها وبين اصول العقائد للشيعة وسواهم وانّه فى علم الكلام كان قرن القاضى عبدالجبار رأس المعتزلة ، وانه فى جماع ذلک كان يعتبر مجدّد المذهب الشيعى .

صنف الشريف المرتضى كتباً بلغت ـ كما فى اعيان الشيعة ـ تسعة وثمانين كتاباً .[١٩١]

والشريف المرتضى كما ذكر تقلّد مقامات حكوميّة كامارة الحج وامارة الطالبين والنّظارة فى المظالم. وهذا يدلّ على علاقاته الوطيدة بالخلافة العبّاسية .

وقد قال ابن هشام الاندلسى فى كتاب الذخيرة فيه : « كان هذا الشريف ، من ائمة العراق بين الاختلاف والاتفاق ، اليه خضع علماؤها وعنه أخذ عظماؤها »[١٩٢]

[١٩١] ـ موسوعة طبقات الفقاء ج٥/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .
[١٩٢] ـ الذ خيرة .

وسبقه فى تأليف الفقه المقارن يدّل على اشرافه على فقه المذاهب الاسلامية بتتلمذه على رجالها وتتلمذ علمائها عليه .

٦ـ الشريف الرضى (٣٥٩ ـ ٤٠٦ هـ)

محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق (ع) ابوالحسن العلوى الموسوى ، البغدادى الملقب بالشريف الرضى ، جامع « نهج البلاغة » .

طلب العلم فى صغره ، فظهرت عليه امارات االذكاء ، وابتدأ بقول الشعر بعد أن جاز عشر سنين بقليل . قرأ على الشيخ المفيد هو واخوه المرتضى .

واخذ النحو والفقه والحديث وغيرهما عن جمع من المشايخ منهم : ابوسعيد السّيرافى النحوى (المتوفى ٣٦٨ ، وابوعلى الفارسى النحوى المتوفى ٣٧٧ ، وابوالفتح عثمان بن جنّى والقاضى عبدالجبار المعتزلى والفقيه ابوبكر الخوارزمى وابوالقاسم عيسى بن علىّ بن عيسى بن داوود الجراح وابومحمد هارون بن موسى التلعبكرى ، وعلىّ بن عيسى الربعى وآخرون .

وكان من كبار العلماء والشعراء المتخضّعين فى علوم القرآن ، فقيها ، عارماً بالنحو واللغة ، ذاهبة وجلالة واباء وكان ابو احمد الحسين بن موسى والد الرضى يتولى نقابة الطالبين والنظر فى المظالم والحجّ بالناس ، فردّت هذه العمال كلها الى ولده الرضى فى سنة ٣٨٨هـ وابوه حىّ .

وصنّف الرضى كتباًمنها : تعليق خلاف الفقهاء ، مجازات الآثار النبوية ، خصائص الائمة و معانى القرآن ، قال فيه الذهبى :ممتع ، بدل على سعة علمه ... .

توفى ابوالحسن الرضى ببغداد سنة ست واربعمائة ووحضر جنازته فخر الملک وجميع الأشراف والقضاة ودفن فى داره ثم نقل الى مشهد الامام الحسين (ع) »[١٩٣] .

[١٩٣] ـ موسوعة طبقات الفقهاء ج٥/ ٢٩٢ـ ٢٩٥ .

ويظهر من ترجمته انه تولّى مناصب حكوميّة وحضرت جنازته اصحاب المناصب ممّا يدل على علاقاته الوثيقة بنظام الحكم آنذاک .

كما انّه تتلمذ على بعض علماء اهل السنة وتتلمذ بعضهم على يديه .

٧ـ الشيخ الطّوسى(المتوفى ٣٨٥ ـ ٤٦٠ هـ)

محمد بن الحسن بن علىّ الشيخ ابوجعفر الطوسى المعروف ب (شيخ الطانقة) مصنف تهذيب الاحكام والاستبصار وهما من الكتب الاربعة عند الامامية التى عليها مدار استنباط الاحكام .

ولد فى طوس و ارتحل الى بغداد واخذ عن الشيخ المفيد والشريف المرتضى وغيرهما .

وكان الطوسى من بحور العلم ، متوقد الذكاء ، عالى الهمة واسع الروية كثير التصنيف ، ازدحم عليه العلماء والفضلاء وحصل له من التلامذة مالاً يحصى كثرة .

قال الشيخ محمد ابوزهرة المصرى (احد الكبار علماء السنة) : كان شيخ الطائفة فى عصرة غير منازع وكتبه موسوعات فقهيّة وعلمية وكان مع علمه بفقه الامامية ، وكونه ؟؟؟ رواته على علم بفقه السنّة ولد فى هذا دراسات مقارنة ، وكان عالماً فى الاصول على المنهاجين الامامى والسنى . وال : لابد ان نذكر تقديرنا العلمى لذلک العالم العظيم ، ولا يحول بيننا وبين تقديره نزعته الطائفية او المذهبية ، فأن العالم يقدّر لمزاياه العلميّة لا لآرائه ونحلته[١٩٤] .

وكان الشيخ الطوسى مقيماً ببغداد ، و كانت داره منتجعاً لروّاد العلم وبلغ الامر من الاكبار له أن جعل له القائم بامر الله العباسى كرسىّ الكلام والافادة .

[١٩٤] ـ الامام الصادق (ع) .

ولمّا أورى السلجوقيون نار الفتنة المذهبية وأغروا العوام بالشر ، أحرقت فى سنة ٤٤٧ هـ مكتبة الشيعة التى أنشأها ابو نصر سابور بن اردشير وزير بهاءالدولة البويهى ، ثم توّسعت الفتنة ، فشملت الطوسىّ نفسه ، فاضطر الى مغادرة بغداد والهجرة الى النجف الاشرف .

قال ابن الاثير فى حوادث سنة ٤٤٦ : فيها نُهبت دار أبى جعفر الطوسى بالكرخ وهو فقيه الاماميّة ، وأخذ ما فيها ، وكان قد فارقها الى المشهد الغروى . وللطوسى تصانيف كثيرة تشتمل على ثمانين كتاباً ، وتوفى فى النجف »[١٩٥] .

وقد ظهر مما ذكر ان الشيخ الطوسى ايضاً كان من اعلام الشيعة الذى تتلمذ على بعض علماء اهل السنة كابى على بن شاذان وابى منصور ، وتتلمذ على بديه بعضهم ، وقد اعطاه الخليفة العباسى كرسى الكلام ، وان كان بعض الطغام والاوباش قد أحّجبوا نار الفتنة المذهبية بحيث شملت ذلک العيلم .

[١٩٥] ـ موسوعة بقات الفقهاء ج٧ /٣٧٩ ـ ٢٨٣ .

٨ـ ابن ادريس الحلّى (٥٤٣ـ٥٩٨)

هومحمد بن ادريس بن احمد بن ادريس ، الفقيه الامامى ابوعبدالله الحلّى مصنف السرائر ويعرف بابن ادريس .

كان متبحراً فى الفقه محققاً ناقداً ، متّقدّ الذهن ، ذاباع طويل فى الاستدلال الفقهى والبحث الاصولى وباعثاً لحركة التجديد فيهما .

وكان يقول : لا أقلدّ الّا الدليل الواضح ، والبرهان اللائح .

وصفه الذهبى فى «سيره» بالعلّامة و رأس الشيعة ، وقال فى تاريخ الاسلام : كان عديم النّظير فى علم الفقه ولم يكن للشيعة فى وقته مثله .

وقال الفُوَطى : كان من فضلاء الشيعة ، والعارف بأصول الشريعة .

وقد تجاوزت شهرة ابن ادريس حدود مدينته ، وعرف بين علماء الفريقين فى عصره ، وتبادل معهم الرسائل بشأن بحث بعض مسائل الفقه ومناقشتها .»[١٩٦] .

قال فى كتاب الطلاق من السرّائر : « وقد كتب الىّ بعض الفقهاء الشافعية ، وكان بينى وبينه مؤانسة ومكاتبة ، هل يقع الطلاق الثلاث عندكم ؟ وما القول فى ذلک عند فقهاء اهل البيت عليهم السلام ؟

فأجبته أمّا مذهب اهل البيت ، فانهم يرون أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد فى مجلس واحد وحالة واحدة من دون تخلل المراجعة ، لا يقع منه الّا واحدة ، ومن طلّق امرأته تطليقة واحدة وكانت مدخولاً لها ، كان له مراجعتها بغير خلاف بين المسلمين »[١٩٧] .

---

[١٩٦] ـ موسوعة طبقات الفقهاء ج ٢٤٨/٦ ـ ٢٥٠ .
[١٩٧] ـ السرائر لابن ادريس ج٢ /٦٧٨ ، طبع جماعة المدرسين ،قم .

٩ـ الشيخ منتجب الدين (٥٠٤ ـ ٥٨٥ هـ)

علّى بن عبيدالله بن الحسن بن الحسين ابن بابويه ، الحافظ المقرئ ابوالحسن الرازى ، القّمى الاصل ، الملقب بمنتجب الدين ، مصنف «فهرست أسماء علماء الشيعة ومصنفيهم » .

أقبل على طلب الحديث منذ صغره ، وافنى عمره الطويل فى ذلک ، فسمع ما لا يحصى كثرة من المشائخ فى بلدة الرى ، وارتحل فسمع باصفهان وقزوين وبغداد وخوارزم ونيسابور وغيرها ، وبرع فى هذا الشأن ، حتى صار من مشاهير حُفّاظ عصره ، وكان امامى المذهب .

قال تلميذه عبدالكريم الرافعى الشافعى فى « التدوين فى أخبار قزوين » : شيخ ريّان من علم الحديث ، سماعاً وضبطاً وحفظاً وجمعاً ، يكتب ما يجد ويسمع ممّن يجد ويقّل من يدانيه فى هذه الاعصار فى كثرة الجمع والسماع والشيوخ الذين سمع منهم ، وأجازوا له .

و وصفه عبدالله أفندى التبريزى فى « رياض العلماء » بالعالم الفقيه المتحدّث وقال : كان بحراً من العلوم لا يُنزف .

سمع عمن دبّ ودرج من مشايخ مذهبة ، ومشايخ سائر المذاهب الاسلامية .

وقد بلغ عدد مشايخه مائة وستة واربعين شيخاً . ومنهم من غير الامامية كالحسن بن محمد بن أحمد الاسترآبادى الحنفى ، و ابى بكر محمد بن عبدالباقى الانصارى البزاز البغدادى الحنبلى ، وزاهر بن طاهر الشحامى النيسابورى الشروطى المتوفى ٥٣٣ هـ ، وتوران شاه بن خسرو شاه الجيلى الزيدى ، وزيد بن الحسن بن محمد البيهقى الزيدى .

وكان وهو شاب رفيق ابن عساكر فى سماع الحديث بالرّى سمعا سنة ٥٢٩هـ .

روى عنه الحافظ ابوموسى محمد بن عمر المدينى ، الاصفهانى ، الشافعى ، وابوالمجد محمدبن الحسين بن ابى المكارم احمد بن حسين بن بهرام القزوينى الصوفى المتوفى ٦٢٢ هـ)، وعبدالكريم بن محمد الرّافعى الشافعى القزوينى وبرهان الدين محمد بن محمد بن على بن ظفر الحمدانى القزوينى [١٩٨] .

[١٩٨] ـ موسوعة طبقات الفقهاء ج٦ /١٩٤ ـ ١٩٦ .

١٠ـ خواجه نصير الدين الطوسى (٥٩٨ ـ ٦٧٢ هـ)

محمد بن محمد بن الحسن ، الفيلسوف ، المحقق الخواجه نصيرالدين الطوسى ، صاحب التصانيف .

قال تلميذه العلّامة الحلّى : كان أفضل أهل زمانه فى العلوم العقلية و النقليّة ، وله مصنّفات كثيرة فى العلوم الحكميّة والاحكام الشرعية على مذهب الامامية ، وكان أشرف من شاهدناه فى الاخلاق .

وقال الصفدى : كان رأساً فى علم الاوائل ، لا سيما فى الأرصاد والمَجسِطى ، و وصفه بالجود والحلم و حسن العشرة والدّهاء .

ولد بطوس وارتحل الى نيسابور يطلب العلم وقد تلمّذ عند جماعة من علماء الشيعة وعلماء السّنّة منهم كمال الدين موسى بن يونس بن محمود الموصلى الشافعى المتوفى ٦٣٩ .

وكان نصير الدين قد سار من نيسابور الى قهستان ـ عند زحف المغول الاول بدعوة من ناصرالدين عبدالرحيم بن ابى منصور ، فاقام بها معزّزاً ، متفرّغاً للمطالعة والتأليف .

وبلغ علاءالدين محمد زعيم الاسماعيليين نزول نصيرالدين عند واليه ناصرالدين ، فطلبه منه ، فمضى به اليه فى قلعة (ميمون در) ، فاحتفى به الزعيم الاسماعيلى و استبقاه لديه معزّزاً مكرّماً . ولما ولى ركن الدين خورشاه الأمر بعد مقتل ابيه علاء الدين ظلّ الطوسى معه الى حين استسلام ركن الدين لهولاكو .

وبحكم حنكة ودهاء نصير الدين ومقدراته العلمية ، قربّه هولاكوو عظّم محلّه عنده ، فكان يطيعه فيما يشير به عليه ، فحاول جهده أن يحفظ للاسلام تراثه وعلماؤه ، وأن يدفع عنهما ما استطاعّ عادية المغول الذين عاثوا فى بلاد المسلمين فساءً . فكان للمسلمين به نفع خصوصاً الشيعة والعلويين والحكماء وغيرهم ، وكان يبرّهم و يقضى اشغالهم ، ويحمى اوقافهم .

وابتنى بمراغة قبّة ورصداً عظيماً ، واتخذّ فى ذلک خزانة عظيمة للكتب ، احتوت على أربعمائة الف مجلد ، فوفد اليها العلماء من النواحى ، حتّى انّ ابن الفوطى صنّف فى ذلک كتاباً سمّاه «من صعد الرصد » .

وصنف نصير الدين ما يناهز مائة وثمانين مؤلفاً ما بين كتب ورسائل واجوبة مسائل فى فنون شتى ، منها :

الشكل القطاع ، وتجريد الاعتقاد وله شروح ، منها : شرح العلّامة الحلّى باسم كشف المرادفى تجريد الاعتقاد . وشرحه بعض علماء اهل السنة ، نظير شمس الدين محمود بن عبدالرحمن بن احمد الاصفهانى المتوفى ٧٤١ ، وعلاء الدين على بن محمد المعروف بالفاضل القوشچى المتوفى ٨٧٩ [١٩٩] .

وقد ظهر انه كان قد تتلمذ عند علماء السنّة مضافاً الى الشيعة ، كما كان له تلاميذ من الشيعة كالعلامة الحلى وتلامذة من اهل السنة كابن الفوطى وغيره . وقد شرح كتابه شراج من علماء اهل السنة وهذه نماذج من علاقاته الوطيدة . وهو قد اسدى خدمة لعامة المسلمين تاريخية بايواء علماء الشيعة والسنّة اليه بعد ان شردّوا من وطائنهم وتهدّمت جوامعهم واحرقت مكاتبهم بسبب الغزو المغولى السّافر .

[١٩٩] ـ موسوعة طبقات الفقهاء ج٧ /٢٤٣ ـ ٢٤٦ .

١١ـ العلّامة الحلى (٦٤٨ ـ ٧٢٦)

الحسن بن يوسف بن على بن المطهّر الأسدى ، شيخ الاسلام ، المجتهد الامامى الكبير ، جمال الدين ابو منصور المعروف بالعلّامة الحلّى ، وبابن المطهر .

اخذ من عدّة من علماء الشيعة امثال المحقق الحلى والخواجة نصير الدين الطوسى وغير هما كما أخذ عن جماعة من علماء السنّة منهم : نجم الدين عمر بن على الكاتبى القزوينى الشافعى المنطقى ، ومحمدبن أحمد الكشى ، الفقيه المتكلم ، وجمال الدين الحسين بن أبان النحوى ، وعزالدين الفاروقى الواسطى ، وتقى الدين عبدالله بن جعفر بن على الصبّاغ الحنفى الكوفى .

وقال الصفدى : الامام العلامة ، عالم الشيعة وفهيمهم صاحب التصانيف التى اشتهرت فى حياته و.. كان يصنف وهو راكب ، وكان الاخلاق ، مشتهر الذكر ... وكان اماماً فى الكلام والمعقولات . وقال ابن حجر فى « لسان الميزان » : عالم الشيعة وامامهم ومصنّفهم ، كان آية فى الذكاء ... وكان مشتهر الذكر ، حسن الاخلاق . ودرس وافتى ، وتفرّد بالزعامة واحدثت تصانيفه ومناطراته هزّة كان من آثارها تشيّع السلطان محمد خدابنده او لجاتيو وعدد من الامراء والعلماء .

وللعلامة تآليف كثيرة غزيرة عد السيد الامين فى اعيان الشيعة اكثر من مأة كتاب [٢٠٠] .

وكان من كتبه شرح مختصر الاحوال ، و متن الكتاب لابن حاجب المتوفى ٦٤٢ وهو من علماء السنّة ، وقد بقيت كتبه كالكافية و الوافية فى النحو و الصرف ومختصر الاصول فى اصول الفقه تدرسّ فى حوزات الشيعة حتّى فى القرن الاخير ، وقد شرح مختصر الاصول ثلاث واربعون من علماء السنّة وكان شرح العلّامة له نجماً لامعاً فيما بين الشروح وقد وصفه ابن حجر هكذا : « فى غاية الحسن فى حلّ الفاظه وتقريب معانيه » .

[٢٠٠] موسوعة طبقات الفقهاء ج٨ /٧٧ ـ ٨٠ .

١٢ ـ فخر المحققين (٦٨٢ ـ ٧٧١ هـ)

محمد بن العلامة الكبير الحسن بن يوسف ، الفقيه المجتهد فخرالدين ابوطالب الحلّى المشهور بفخر المحققين .

ولد بالحلّة وتتلمذ على والده وغيره من العلماء وتصدّر للتدريس بعد وفاة والده وخلفه فى مجلسه فى الحلّة وتخرج به جماعة من الشيعة والسنة . ومن السنة الفيروز آبادى اللغوى الكبير صاحب كتاب القاموس المحيط (٧٢٩ ـ ٨١٧)

روى ـ كما فى طبقات اعلام الشيعة ١٨٥/٣ ، عن فخر المحققفين كتاب التكملة والذيل والصلة لكتاب « تاج اللغة » للحسن بن محمد الصّاغانى وصنّف كتباً منها : الكافيه والوافيه فى الكلام وله شروح على كتب والده منها : ايضاح الفوائد فى شرح القواعد [٢٠١] .

وقال الفيروزآيادى حينما اجاز لاحد تلامذته رواية كتاب التكملة التى قرأها على استاذه فخر المحققين ، فى حق استاذه : علامة الدنيا بحرالعلوم طود العلماء فخرالدين محمد» . و حينما اراد ان يعرف العلّامة الحلى والد استاذه قال فى حقه : « ابن الشيخ الامام الأعظم برهان علماء الامم جمال الدين ابى منصور الحسن بن يوسف بن مطهر حق روايته عن والده » .

وهذه التعابير تنّم عن علاقات وديّة وطيدة للغاية بين علماء الشيعة وعلماء السنة .

الى الان ذكرنا اثنى عشر نموذجاً من علماء الشيعة المتقدمين واثنين من المتأخرين . وعلينا الآن نشير الى نماذج من اعلام علماء الشيعة فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الذين رفعوا راية توحيد الكلمة بين المسلمين وتنّبوا فكرة التّقريب فيما بين المذاهب الاسلامية .

---

[٢٠١] ـ موسوعة طبقات الفقهاء ٨ /١٩١ ـ ١٩٢ .

دعاة الوحدة الاسلامية فى القرنين الاخيرين

من اعلام علماء الشيعة

١٣ـ السيد جمال الدين الآسد آبادى (١٢٥٤ ـ ١٣١٤هـ)

هو اكبر مفكّر وعالم مسلّم منظّر سياسى فى القرن الثالث عشر واوائل القرن الرابع عشر الهجرى ، وكان له الدّور الكبير فى بث الصحوة الاسلامية والدعوة الى الاتحاد الاسلامى فى جميع ربوع العالم.

والسيد جمال وان اختلف فى قوميته ومذهبه بانّه ايرانى او افغانى ؟ وشيعى او سنّى ؟ بسبب التكتم الذى كان يستعمله حتّى لا يكون المتعصبون عائقين لنشاطه ، الّا أن مقتضى التحقيق كما صرّح بذلک ابن اخته السيد لطف الله الأسد آبادى ، كان قد ولد فى اسدآباد همدان وهى احدى محافظات ايران ، من اسرة شيعية ، وبعد اكمال مقدّمات الدروس فى قزوين وطهرا ن ، هاجر الى حوزة النجف وكربلاء ، وتتلمذ على يد الشيخ مرتضى الانصارى ، مرجع الشيعة آنذاک ، ثم رجع الى ايران وسافر الى الهند وتعلّم العلوم والآداب الاوروبيّة هناک ، وحجّ بيت الله الحرام ، وسافر الى تركيا والعراق وايران .

وذهب الى افغانستان عام ١٢٨٣ هـ ، ودخل فى الصرّاعات السياسية هناک . وكان يطلق عليه « السيد الرومى » ، اى التركى . وكان اتجاهه السيّاسى محاربة سلطة الانجليز على البلدان الاسلامية . وبعدها هاجر الى اسلامبول وتمكّن من النفوذ فى البلاط العثمانى وتصدّى لعضوية المجلس الاعلى . وخرج عام ١٢٨٧هـ الى مصر ، واحدث هناک انقلاباً فكرياً اسلامياً فى اوساط مصر و وتربّى لديه مجموعة من المفكرين امثال الشيخ محمد عبده وسعد زغلول مؤسس حزب الوفد . و دعا الى

اتحاد الاسلام . وبفضل حركة السيد فى مصر تأسست النهضة الوطنية لاستقلال مصر من براثن انكلترا و فرنسا ، ووصلت الى القمة بقيام احمد عُرابى .

وقد تأثر الكتاب والصحفيون بحركة السيد جمال الدين ، وهم الذين دعوا الى الصحوة الاسلامية واتحاد الاسلام .

وضاق بالانجليز ذرعاً بسبب النشاط الفعال للسيد فى مصر ممّا ادّى الى ابعاده ، فذهب الى الهند . وكان من مواقف السيّد هناک فضح الخطّ الفكرى الذى تبنّاه السّر سيد احمد خان الهندى ، وهو تفسير القرآن فى ضوء العلوم الطبيعية ، الامر الذى انتج تفسيراً ماديّاً للمفاهيم المجردّة . فالف السيد رسالة باسم « الرّد على النيچريّة » ، اى المدرسة المادية . ولمّا شاهدت حكومة انكلترا انّ السيد تمكنّ من صنع تيّار مضادّ لها فى الهند ، اجبرته على المغادرة ، فهاجر الى باريس ، وقام بنشر مجلّة «العروة الوثقى» ، وهى تضم مقالات فكريّة وسياسية ضد الاستعمار الانجليزى ، وكانت المقالات بقلمه وبقلم تلميذه محمدعبده . وكانت له لقاءات ومراسلات مع الفيلسوف الفرنسى «ارنست رنان » ، بحيث اعجب به كثيراً و وصفه بانه « ابن سينا زمانه » و« كندى زمانه » وما شاكل ذلک من تعبيرات .

وكانت لمقالات العروة الوثقى صدى واسع فى ارجاء البلدان الاسلامية ضدّ سياسة الانجليز ممّا سببّ ضغطها على فرنسا كى تقوم بتعطيل المجلة . وعطّلت بعد انتشار ثمانية عشر عدداً عام ١٨٨٤م.

وقد و دعى السيّد من قبل الملک الايرانى ناصر الدين شاه القاجار الى طهران ، و قد استقبله فى بداية الامر ، ولمّا شاهد تأكيد السيّد على مراعاة القانون فى البلد ، أعرض عنه .

وبعد أن بقى اربعة اشهر فى ايران ، سافر الى روسيا ، وبقى هناک عامين وسافر الى آلمانيا والتقى الشاه الايرانى به هناک واعتذر منه ، ودعاه الى ايران ، فجاء السيد الى ايران وتمكّن من تربية كوادر مستعدّة ، وبدأ ينتقد الاوضاع الفاسدة هناک ، ممّا أثار غضب الشاه عليه ، فابعد عن ايران مهاناً .

وذهب الى اروبّا وقام بنشر جريدة باسم «ضياء الحافقين » فى لندن ، وكتب مقالات انتقاديّة ضدّ الشاه ، و وجّه الرّسائل الى علماء الدين الشيعة للثورة ضدّ الشاه . واثرت تلک الرسائل فى تدشين ثورة تحريم التنباک . وقام احد تلامذة السيد وهو الميرزا رضا الكرمانى باغتيال الشاه فى صحن السيد عبدالعظيم الحسنى (ع) فى الرّى . كما قام محمدعلى ميرزا ولىّ العهد باعدام جماعة من اتباع السيّد فى تبريز عام ١٣١٤هـ ، وتوفّى السيّد فى شوال ١٣١٤ هـ ، فى اسلامبول اثر مرض السرطان ، وقيل بسبب السّم الذى امر به السلطان العثمانى . ودفن بعد تشييع متواضع فى مقبرة هناک .

ان اهم عناصر المدرسة الفكرية للسيد جمال الدين الاسد آبادى ما يلى :

١ـ الاعتقاد بالكفائة الذاتية للاسلام على هداية المسلمين واقتدارهم .

٢ـ مكافحة نفسية الاستسلام للقضاء والقدر والعزلة والسّكون .

٣ـ الرّجوع الى المصادر الاصلية للكفر الاسلامى .

٤ـ دعوة المسلمين الى الاتحاد ونبذ الفرقة والخلاف وتشكيل الصّفّ الواحد والجبهة الواحدة .

٥ـ التفسير العقلى لتعاليم الاسلام ودعوة المسلمين الى التّسلّح بالعلوم الحديثة .

٦ـ مكافحة الاستعمار والاستبداد كخطوة اولى فى طريق بعث الحركة الفكرية والاجتماعية للمسلمين واتّحاد دول وشعوب العالم الاسلامى للوصول الى الاهداف المنشودة [٢٠٢] .

[٢٠٢] ـ المصادر : بيدارگران اقاليم قبلة ص ٢٧ ، دائرة المعارف تشيع ٢ / ١٣١ ـ١٣٢ .، سيرى در انديشه سياسى عرب / ٧٧ ـ ١١٤ ، علماى مجاهد /٤٧ ـ ٥٣ .

١٤ـ الامام كاشف الغطاء (١٢٩٤ ـ ١٣٧٣هـ)

محمد حسين بن على بن محمد رضا بن موسى بن جعفر كاشف الغطاء المالكى النجفى .

كان من أعلام مجتهدى الإمامية ، وكبار الكتاب ، ومشاهير زعماء الدين ذوى النزعة الإصلاحية ، الدّاعين الى الوحدة الاسلامية .

ولد فى النجف الأشرف وتتلمذ على ابيه الشيخ على المتوفى ١٣٥٠ ، فاجتاز بعض المراحل الدراسية.

وحضر الابحاث العالية فقهاً واصولاً على الأعلام : محمدكاظم الخزرسانى ، والسيد محمدكاظم الطباطبائى اليزدى واختصّ به ، و آقا رضا الهمدانى .

وتتلمذ فى الفلسفة والكلام على كبار الاساتذة و كذلک فى الفقه والاصول والادب وبرع فى سائر علوم الشريعة .

وتصدّى للبحث والتدريس ، فحضر عليه المئات من بغاة العلم وأكبّ على التحقيق والتأليف وجال فى الاقطار العربية والاسلامية واتصل بكبار العلماء وقادة الفكر ، وألقى المحاضرات والخطب الملهبة ، داعياً المسلمين الى الوفاق والى اليقظة والنهوض .

وساند الحركات التحررية ، وكتب فى امهات الصحف العربية بحوثاً قيمّة وقصائد متينة .

ووضع ما يزيد على ثمانين مؤلفاً فى فنون مختلفة ، منها تحرير المجلة (مطبوع فى سبعة اجزاء) فى الفقه ، وحاشية على تبصرة المتعلمين فى الفقه للعلامة الحلى ، وحاشية على العروة الوثقى ورسائل فتواتية بالعربية و والفارسيّة وحاشية على الرسائل والمكاسب للشيخ الانصارى ، وحاشية على الكفاية ، والدين والاسلام ، واصل الشيعة واصولها فى العقيدة والكلام ، والمراجعات الريحانية ،

وجنة المأوى ، والآيات البيّنات فى قمع البدع و الضلالات (البهائية والاموية والوهابية) وغير ذلک. وتوفى فى ١٨ ذى العقدة سنة ١٣٧٣ هـ و ق فى قرية كرند الواقعة بين كرمانشاه وخانقين ودفن فى النجف [٢٠٣] .

المواقف السيّاسيّة للامام كاشف الغطاء

كان الامام كاشف الغطاء مرجعاً جامعاً ونشطاً فى المجالات السيّاسية من اجل وحدة المسلمين ويقظتهم ووقوفهم ضد الاستعمار والاستبداد ومن اهم مواقفه فى هذا المجال مايلى .

الف ـ مشاركته فى الجهاد ضدّ الاحتلال الانكليزى إبّان الحرب العالمية الاولى ، وكان مساعداً للمرجع الأعلى السيد اليزدى آنذاک .

ب ـ افتاؤه بالجهاد ضدّ الانكليز حينما تحرک رشيد عالى الكيلانى رئيس الوزراء العراقى عام ١٩٤١م ، اثناء الحرب العالمية الثانية ، الّا ان الجيش العراقى بقيادة الكيلانى و بدافع العصبيّة الطّائفية لم يعط المجال لابناء العشائر الشيعية الذين استعدّوا لمساعدة الجيش ضدّ الانكليز خوفاً من نفوذهم فى جهاز الحكم على الرغم من علم الانكليز ، كما تحقق ذلک حيث انهزم الجيش العراقى وهرب الكيلانى وسيطر الانكليز مرة اخرى على البلاد [٢٠٤] .

ج ـ سفره الى مصر وكتابة كتاب « الدين والاسلام » ، و هو دراسة نقديّة للافكار الغربية .

دـ مشاركته فى مؤتمر القدس فى فلسطين عام ١٣٥٠ هـ ، حيث القى هناک كلمة تاريخية حول التقارب الاسلامى لمكافحة الصهاينة ، وقد اقتدى بصلاته ١٥٠٠ من العلماء المؤتمرين ، من كافة الافطار الاسلامية و حوالى عشرين الفاً من اهالى فلسطين ، وذلک ليلة المعراج ٢٧ رجب فى

[٢٠٣] ـ موسوعة طبقات الفقهاء ، ج١٤ ص٦٨٣ ـ ٦٨٥ .
[٢٠٤] ـ تاريخ سياسى عراق ، مؤسسة انتشاراتى نهضت جهان اسلام طهران ، ٥٥ .

المسجد الاقصى ، وكان لذلک الامر قيمة كبيرة حيث كان بذرة الاولى للاتحاد الاسلامى ورمزاً للاخاء والتساهل الدينى [٢٠٥] .

هـ ـ اصداره فتوى الجهاد ضدّ الصهاينة مرتين .

وـ نقده اللاذع للحكام العرب المساومين للصهاينة وافتاؤه بحرمة بيع اراضى المسلمين من اليهود عام ١٣٥٢ هـ .

زـ أسفاره الى ايران وتحريضه لعماء الدين فى انتفاضة الشعب الايرانى ضدّ الانكليز من اجل تأميم النفط .

ح ـ مشاركته الفعالة فى مؤتمر كراتشى (باكستان) عام ١٣٧١ هـ ودعوته هناک الامّة الاسلامية الى الوحدة ومساندته للحركات التحريريّة .

ط ـ رفضه لدعوة المؤتمر الامريكى المنعقد فى (بحمدون) لبنان ونشره لكتاب تحت عنوان « المُثل العليا فى الاسلام لا فى بحمدون) ونقده للسياسة الامريكية المبنية على حماية الصهيونية .

ى ـ دعواته المتكررّة الى الوحدة الاسلامية وتشكيل الصّف الواحد الاسلامى بوجه الاستعمار ودعوة المسلمين الى الاصلاح والتنميّة الاقتصادية والتقنيّة من اجل كسب الاستقلال الجامع .

ک ـ مشاركته الفعالة بكتابة المقالات الاجتماعية والسياسية فى الصحافة العربية مضافاً الى تأليف العشرات من الكتب الفقهية والاصولية والعقائدية بادبه الرفيع [٢٠٦] .

وفى نهاية المطاف اليكم باقة من اشعاره الراقيّة حول الوحدة والسّلم والاخاء ونبذ الفرقة والعداء .

هلمّ نعش بالسّلم عصراً فاننّا قضينا عصوراً بالتضارب واللّدم

[٢٠٥] ـ العبقات العبرية فى الطبقات الجعفرية ، ترجمت الامام كاشف الغطاء ص ١٢ ـ ١٣ .
[٢٠٦] ـ دور علماء ادين فى الصحوة الاسلامية التاريخية فى القرون الثلاثة الأخيرة ، محسن الحيدرى ص ٧٥ ـ ٧٦ .

يقولون للاصلاح نسعى وربّما طلبت الشفا فازددت سقماً على سقم

اذا كانت الافعال نثراً نظامها فلا خير فى نثر المقالات والنّظم

وكلّ فتىً يبغى العُلا غير انّنا كمقتنصٍ صيداً يرُمُ ولا يرمى

يرحب صدرى بالهموم لأننى أرى هممى تخبو فيوقد ها همّى

وما عزمتى ناراً بزعمى وانمّا حرارة انفاسى الزعيم على زعمى

أرى أمماً تدعو العلوم لها أباً وفى درس علم النّفس اكثرها أمّى

وما كلّ علم يجلب السّعد للفتى ويرقى به وهدة النقص للتّمّ

اليكم بنى الاديان منّى دعوةً دعوتكم فيها الى الشّرف الجّم

الى السّلم فيكم والتساهل بينكم فيا حبّذا شرع التساهل والسّلم .

١٥ـ السيد عبدالحسين شرف الدين (١٢٩٠ ـ ١٣٧٧ هـ)

هو السيد عبدالحسين بن السيد يوسف الموسوى العاملى ، احد اعلام الامامية ومشاهير علماء الاسلام . ولد فى الكاظميّة ورجع ابوه به الى جنوب لبنان واقبل على تعليمه وعاد الى العراق سنة ١٣١ فدرس فى النجف وسامراء على عدة من العلماء وحضر ابحاث المحقق الخراسانى ومحمد طه نجف وآقا رضا الهمدانى والشيخ الشريعة الاصفهانى وغيرهم . وعاد الى جبل عامل عام ١٣٢٧ فتصدى فيها للتوجيه والارشاد والاصلاح وباشر التأليف ودعا الى التقريب بين المذاهب الاسلامية والى وحدة الكلمة . واكبّ على المطالعة والبحث واحاط بالتاريخ الاسلامى وبروايات الفريقين وتخصّص فى الدراسات المذهبيّة .

زار مصر سنة ١٣٢٩ هـ زيارة علمية اجتمع خلالها باعلامها المبّرزين كان فى طليعتهم الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الازهر ، ودارت بينهما مناقشات فى كل ما يهمّ المسلمين من مباحث علمية ، فكان من اثر ذلک كتاب «المراجعات » الشهير الّذى تعرض لمباحث الامامة بصورة تفصيليّة .

وواصل فى بلدته صور نشاطاته فى الميادين الاجتماعية والسياسية والاصلاحية ، و ناوأ الاحتلال الفرنسى و واجهه بالاحتجاج و الرفض ، فأحرقت مكتبته التى تضم نفائس الكتب ، ومنها تسعة عشر مؤلفاً من مؤلفاته الخطية .

ارتحل السيد المترجم بعد هذه الحوادث الى دمشق ، وذاع اسمه فيها وساهم بشكل فاعل فى المداولات السياسية والحفلات الوطنية وله فى ذلک مواقف خطابية متميزة ، ثم غادرها بعد معركة ميسلون الى فلسطين ، ومنها الى مصر ، فامضى فيها قرابة الشّهرين ، تقاطر عليه خلالها رجال الفكر والسياسة .

ثم عاد الى بلاده سنة ١٣٣٩ هـ فخاض مختلف الميادين كالذّب عن العقيدة والمذهب يقلمه ولسانه ، ومناهضة المستعمرين ، وحلّ المشاكل الاجتماعية ، واحياء مشاريع العلم كانشاء مدرسة حديثة باسم المدرسة الجعفرية ومدرسة حديثة باسم مدرسة الزهراء(ع) ونادى الامام جعفر الصادق (ع) وغير ذلک .

وقد وضع مؤلفات عديدة امتازت ؟؟؟ والاستيعاب واعتانة والأدب الرفيع فى ثلاث مجلدّات ، المسائل الفقهية ، تحفة الاصحاب فى طهارة اهل الكتاب ، رسالة فى منجزات المريض ، رسالة فى المواريث ، تعليقة على مبحث الاستصحاب من فوائد الاصول للشيخ الانصارى ، المراجعات ، تعليقة على صحيح البخارى ، تعليقة على صحيح مسلم ، ابوهريرة ، النص والاجتهاد ، الفصول المهمة فى تأليف الامة ، المجالس الفاخرة فى مآتم العترة الطاهرة ، رسالة حول الرؤية ، رسالة فلسفة الميثاق و الولاية ، الحكمة الغراء فى تفصيل الزهراء ، اجوبة مسائل موسى جار الله ، تحفة المتحدثين فى من خرج عنه السّنّة من المضعّفين ، سبل المؤمنين فى الامامة وغير ذلک[٢٠٧] .

والذى امتاز به السيد شرف الدين فى مناظراته ومباحثاته الدينية مع اعلام اهل السّنّة هو الادب الرفيع مع اتقان الادلّة والموضوعية والاسلوب الهادى والهادف الى توحيد صفوف الامّة وتقريب القلوب والمذاهب بدفع الشبهات ورفع الجهالات مع اخلاص ومثابرة بلا ايّ تعصّب ونزعة طائفية . وكنموذج لهذا الاسلوب الرفيع يمكن الاشارة الى كتاب المراجعات . وهذا الكتاب مجموعة رسائل بلغت ١١٢ رسالة ، وهى متبادلة بين الاستاذ الاكبر الشيخ سليم البشرى ، شيخ الجامع الأزهر والامام شرف الدين الموسوى العاملى .

والشيخ سليم البشرى المالكى ولد بمحافظة البحيرة عام ١٢٤٨ هـ ودرس بالازهر ، ثم تولى مشيخته مرتين : الاولى من عام ١٣١٧هـ الى عام ١٣٢٠ هـ . والمرة الثانية من ١٣٢٧ هـ الى

[٢٠٧] ـ موسوعة طبقات الفقهاء ج١٤ /٣١٨ ـ ٣٢١ .

١٣٣٥ هـ وكان رحمه الله حازماً فى ادارته للازهر . وللشيخ جملة مؤلفات معظمها من الحواشى والتقارير على كتب السلف . توفى الشيخ سليم البشرى سنة ١٩١٦ م .

قال الدكتور حامد حفنى داود واضع اسى المنهج المعلمى الحديث ورئيس قسم اللغة العربية ـ كلية الالسن ـ جامعة عين شمس القاهرة ، فى مقدمته على كتاب المراجعات .

« وبعد فهذا سفر عظيم كتبه عَلَمان من اعلام الإسلام فى صورة حوار علمى اصيل اتّصف بالنزاهة والموضوعية والبعد عن سفساف القول وهجره ، واتصّف بالاخلاص الجم من الوصول الى الحقيقة مبرّاة من كل غرض سواها ، والحقيقة هى الحكمة الخالدة ، والحكمة والعلم قرنان يطلبهما المؤمن أنى وجدهما .

كان هذا الحوار بين عالمين جليلين يمثّلان شطرى امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم : السنّة والشيعة . وكان لكل منها خطره ومكانته فى مذهبه علماً وخُلقاً وادباً وبكل ماتتضمنّه هذه الكلمات من معنى .

إنّ هذه النفخة المدويّة التى احدثها هذا الكتاب الجليل ، وهو يصرخ فى اذن كل سنى وشيعى أن : تقاربوا وتألفوا بآداب النبى (ص) ، واعملوا بما أمر به الله ونبيّه من تراحم وتوادد وتآزر وتعاطف كان لها أثرها .

وليس أدلّ على أثر هذا الكتاب فى جيلنا السالف وجيلنا المعاصر من ظهور جماعة من قادة الفكر فى ايران وغيرها من البلاد الاسلامية دعوا الى التقريب بين المذاهب فى مصر وايران ، قد حملت هذه الجمعية مشعل الدّعوة وظهرت لها مجلّات ونشرات دوريّة أعادت الى الأذهان سيرة السّلف الصالح وصدقت قول النبى (ص) فيما اخبر من احاديث الغيبيّات :

«أمتى امة مباركة ، لايدرى أولها خيراً او آخرها » .الجامع الصغير ١ / ١٠٩ »[٢٠٨] .

واليكم الآن نماذج من تعبيرات كلّ من العلمين تجاه الآخر :

الف ـ قال السيدعبدالحسين شرف الدين فى شأن سفره الى مصرعام ١٣٢٩ هـ والتقائة بالشيخ البشرى فى وصف ذلک الشيخ :

« وهناک على نعمى الحال ، ورخاء البال ، وابتهاج النفس ، جمعنى الحظ السعيد بعلم من أعلام المبرزين ، بعقل واسع ، وخُلق وادع ، وفؤاد حىّ ، وعلم عيلم ومنزل رفيع ، يتبوّأه بزعامته الدينية ، بحق وأهلية .

... شكوت اليه وجدى ، وشكا الى مثل ذلک وجداً وضيقاً ، وكانت ساعة موفقة اوحت الينا التفكير فيما يجمع الله به الكلمة ، ويلم به شعث الامة ، فكان ممّا اتفقنا عليه أن الطائفنتين الشيعة و السنة مسلمون يدينون حقاً بدين الاسلام الحنيف ، فهم فيما جاء الرسول به سواء ، ولا اختلاف بينهم فى أصل أساسى يفسد التلبس بالمبدأ الاسلامى الشريف ، ولا نزاع بينهم الا ما يكون بين المجتهدين فى بعض الاحكام لاختلافهم فيما يستنبطونه من الكتاب او السّنّة او الاجماع او الدليل الرابع ... »[٢٠٩]

ب ـ قال الشيخ البشرى فى المراجعة ١ ـ بتاريخ ۶ ذى العقدة سنة ١٣٢٩ .

١ـ سلام على الشريف العلامة الشيخ عبدالحسين شرف الدين الموسوى ورحمة الله وبركاته .

انى لم أتعرف فيما مضى من أيام بدخائل الشيعة ، ولم أبل أخلاقهم ، اذ لم أجالس أحادهم ، ولم أستبطن سوادهم . وكنت متلعلعاً الى محاضرة أعلامهم ، حران الجوانح الى تخلّل عوامهم ، بحثاً عن

[٢٠٨] ـ المراجعات ، مقدمة الدكتور حامد حفنى داود . طبع مؤسسة انصاريان ، قم ، ١٣٨٥ ش ص ١٩ ـ ٢٤ .
[٢٠٩] ـ المراجعات مقدمة المؤلف ص ٥٨ .

آرائهم ، وتنقيباً عن أهوائهم ، فلما قدرّ الله وقوفى على ساحل عيلمک المحيط ، وأرشفنى ثغر كأسک المعين ، شفى الله بسائغ فراتک أوامى ، ونضح عطشى ، وألّيَّةً بمدينة علم الله وجدک المصطفى ـ وبابها ـ أبيک المرتضى انّى لم أذق شربة أنقع لغليل ، ولا أنجع لعليل ، من سلسال منهلک السلسبيل ، وكنت أسمع أن من رأيكم ـ معشر الشيعة ـ مجانبة اخوانک ـ اهل السّنّة ـ وانقباضكم عنهم ، وأنكم تأنسون بالوحشة وتخلدون الى العزلة ، وأنكم وأنكم . لكنّى رأيت منک شخصاً رقيق المنافثة ، دقيق المباحثة ، شهىّ المجاملة ، قوّى المجادلة ، لطيف المفاكهة ، شريف المعاركة ، مشكور الملابسة ، مبرور المنافسة ، فاذا الشيعى ريحانة الجليس ، و منية كلّ أديب .

٢ـ وانّى لواقف على ساحل بحرک اللّجى ، أستاذنک فى خوض عبابه والغوص على درره ، فان أذنت غضنا على دقائق وغوامض تحوک فى صدرى منذ أمد بعيد ، والّا فالامر اليک ، وما أنا فيما أرفعه بباحث عن عشرة ، او متتبع عورة ، ولا بمفند او منددّ ، وانّما أنا نشاد ضالّة ، وبحاث عن حقيقة ، فان تبيّن الحق ، فان الحقّ أحقّ أن يتبع و الّا فانا كما قا القائل : نحن بما عندنا وأنت بما عندک راض والرأى مختلف » [٢١٠] .

ومن اللطيف الاشارة الى أن الشيخ البشرى كان آنذاک له من العمر واحد وثمانون سنة وكانت له مشيخة الازهر بينما كان السيد عبداللحسين شاباً له من العمر تسعة وثلاثون سنة ولم يكن له ايّ مقام رسمى لا فى مصر ولا فى بلده .

ج ـ ما أجاب به السيد عبدالحسين فى المراجعة ٢ـ فى نفس التاريخ ردّاً على المراجعة للشيخ :

١ـ السلام على مولانا شيخ الاسلام ورحمة الله وبركاته .

[٢١٠] ـ المراجعات ص ٦١ .

خولتنى بكتابک العطوف من النّعم ، واوليتنى به من المنن ما يعجز عن أداء حقه لسان الشكر ، ولا يستوفى بعض فرائضه عمر الدهر . رميتنى بآمالک ونزعت الى برجائک ، وأنت قبلة الراجى وعصمة اللّاجى ، وقد ركبت من سوريا اليک ظهور الآمال .و حططت بفنائک . ما شددت من الرجال ، منتجعاً علمک مستمطراً فضلک ، وسأنقلب عنک حىّ الرجاء ، قوّى الامل ، الّا أن يشاء الله تعالى .

٢ـ استأذنت فى الكلام ـ ولک الامر والنهى ـ فسل عما أردت ، وقل ما شئت ، ولک الفضل ، بقولک الفصل ، وحكمک العدل وعليک السلّام .

د ـ ما قاله الشيخ البشرى فى المراجعة ١١١ وهى آخر مراجعة له فى الكتاب بتاريخ ١ جمادى الاولى سنة ١٣٣٠ هـ .

« أشهد انكم فى الفروع والاصول ، على ما كان عليه الائمة من آل الرسول ، وقد أوضحت هذا الامر فجعلته جلياً ، وأظهرت من مكنونه ما كان خافياً ، فالشک فيه خبال ، والتشكيک تضليل ، وقد استشففته فراقنى الى الغاية ، وتمخرّت ريحه الطّيبة فأنعشنى قدسى مهبّها بشذاه الفياح ، وكنت قبل أن أتصل بسببک على لبس فيكم لما كنت أسمعه من ارجاف المرجفين ، وإجحاف المجحفين ، فلمّا يسرّ الله اجتماعنا أويت منک الى علم الهدى ، ومصباح رجى ، وانصرفت عنک مفلحاً منجحاً ، فما أعظم نعمة الله بک على ، وما أحسن عائدتک لدى ، والحمدلله ربّ العالمين »[٢١١] .

هـ ـ ما قاله السيد عبدالحسين فى المراجعة ١١٢ وهن آخر مراجعة منه فى الكتاب بتاريخ ٢ جمادى الاولى سنة ١٣٣٠ .

[٢١١] ـ المراجعات ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩ .

« أشهد أنک مطلع لهذا الامر ومقرن[٢١٢] له ، حسرت له عن ساق وأنصلت فيه [٢١٣] أمضى من الشهاب ، أغرقت فى البحث عنه ، واستقصيت فى التحقيق والتدقيق ، تنظر فى أعطافه وأثنائه ، ومطاويه وأحنائه ، تقلبّه منقباً عنه ظهراً لبطن ، تتعّرف دخيلته ، وتطلب كنهه وحقيقته ، لا تستفزّک العواطف القومية ، ولا تستخفّک الاغراض الشخصية ، فلا تصدع صفات حلمک ، ولا تستثار قطاة رأيک ، مغرقاً فى البحث بحلم أثبت من رضوى ، وصدر أوسع من الدنيا ، ممعناً فى التحقيق لاتأخذک فى ذاک آصرة [٢١٤] حتى برح الخفاء ، وصرح الحق عن محضه ، وبان الصبح لذى عينين ، والحمدلله على هدايته لدينه ، والتوفيق لما دعا اليه من سبيله ، وصلى الله على محمد وآله وسلّم »[٢١٥] .

وبحقّ يجب أن يقال : أن هذا النمط من اسلوب البحث المذهبى هو النمط الأمثل الذى يلزم ان يقتدى به ويتأسّى ، وهو المصداق الواضح للحكمة والموعظة الحسنة و للجدال بالتّى هى احسن الذى يرشد اليه القرآن الكريم بقبوله :

« ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ »[٢١٦] .

---

[٢١٢] ـ اى مطيق له قادر عليه .
[٢١٣] ـ الانصلات : الجد و السبق .
[٢١٤] ـ هو ما عطفک على رجل من رحم او قرابة او صهرا والمعروف .
[٢١٥] ـ المراجعات ص ٣٤٩ .
[٢١٦] ـ النحل / ١٢٥ .

١٦ ـ السيد حسين البروجردى (١٢٩٢ ـ ١٣٨٠ هـ)

هو السيد حسين بن السيد على الطباطبائى الحسنى البروجردى ، كان فقيهاً متبحراً ، اصولياً ، خبيراً بالحديث والرجال ، من مشاهير علماء الامامية وأكابر مراجع التقليد والإفتاء . ولد فى بروجرد وبدأ دراسته هناک والتحق بحوزة اصفهان وتتلمذ على ايدى كبار علمائها كالكباسى والمدرس والدرچه اى وجهانگير القشقائى .

وقصد النجف عام ١٣١٩ فحضر الابحاث العالية فقهاً واصولاً على المحقق الخراسانى وشيخ الشريعة الاصفانى وغيرهما وعاد الى بروجرد سنة ١٣٢٨ هـ ، و زاول التحقيق والتدريس وذاع صيته ، وهاجر الى قم بدعوة من كبارها ، وتصدّى للمرجعية العليا للشيعة بعد السيد ابى الحسن الاصفهانى عام ١٣٦٥ هـ . وازدهرت الحركة العلمية فى قم فى عهده و انهالت عليه وفود الطلبة والفضلاء وتربى على يديه جمع غفير من المجتهدين . ودوّن تقريرات ابحاثه بعض تلامذته والف كتباً ورسائل من اهمها تعليقات على العروة الوثقى للسيد كاظم اليزدى ، وحاشية على نهاية الشيخ الطوسى ، وحاشية على الكفاية ، وجامع احاديث الشيعة طبع منه اكثر من ٣٢ مجلداً ، وترتيت اساتيذ كتاب الخصال ومعانى الاخبار وثواب الاعمال وعقاب الاعمال للصدوق ، ورجال اسانيد او طبقات رجال كتاب الكافى ورجل اسانيد او طبقات رجال كتاب الكشى ، وفهرست الشيخ الطوسى ، وفهرست الشيخ النجاشى ، وتعليقه على وسائل الشيعة ، وبيوتات الشيعة ، وتعليقة على منهج المقال فى الرجال للميرزا الاسترآبادى ، و غير ذلک .

وكان السيد البروجردى ذاشخصية جذابة ، ومهابة عظيمة ، زاهداً فى الحياة ، سخياً كريماً ، متهجدّاً ، عزيز النفس ، غيوراً على مصالح الاسلام والمسلمين ، كثير الاهتمام بالوحدة الاسلامية وتقريب

المذاهب . وكان فقيهاً متضلعاً ، خبيراً بكافة الآراء الفقهية لجميع المذاهب الاسلامية ، و ادبياً بالعربيّة والفارسية ، و ضليعاً بأنساب العلويين ، و بالفلسفة والحكمة والرياضيات .

ساهم السيد المترجم مساهمة فعالة فى تأسيس دارالتقريب بين المذاهب ، ودعم المعنيين بتأسيسها من دون فرق بين السّنّة والشيعة ، وكان على صلة وثيقة باخيارها عن طريق مندوبه الشيخ محمد تقى القمى (الامين العالم لجماعة دارالتقريب) وله مراسلات مع الشيخ عبدالمجيد سليم ، والامام الشيخ محمود شلتوت »[٢١٧] .

مكاتبات السّيّد البروجردى مع أعلام اهل السنّة

ان مكاتبات سماحة السيد البروجردى كمرجع اعلى للشيعة فى زمانه مع أعاظم علماء اهل السنة المعاصرين له كشيخ الازهر وغيره وعنايته التامّة بأمر دار القريب ومتابعة شؤونها والاهتمام بامور المسلمين ورعاية اواصر الاخوة الاسلامية فيما بين المسلمين ، كل ذلک يدلّ على اهتمام ذلک العالم الشيعى الكبير بالوحدة الاسلامية ولزوم التقارب بين المذاهب الاسلامية والتعايش السلمّى فيما بين ابناء الامة المحمدية . وهذه السياسية الحكيمة والسيرة المرضية قد أتت بثمارها فى توحيد الصفوف وسدّ ابواب دعاة التكفير والتفرقة بين الامة الاسلامية ، الامر الذى دعا كبار اهل السّنّة كالشيخ محمود شلتوت ان يفتى بجواز التعبد لاهل السنة بالمذهب الجعفرى وتأسيس دارالتقريب التى من ثمارها تصويب كرسىّ تدريس الفقه الامامى فى الازهر الشريف وقيامه بطباعة بعض الكتب الفقهية و التفسيرية للامامية فى مصر .

واليكم الآن كتاب الشيخ عبدالحميد سليم شيخ الجامع الازهر

[٢١٧] ـ موسوعة طبقات الفقهاء ج ١٤ / ٢١٢ ، ٢١٦

حينما سمع الشيخ عبدالمجيد سليم شيخ اجامع الازهر من طريق المذياع ان صحة السيد البروجردى تدهورت ، ارسل اليه كتاباً يستفسر فيها عن صحته ، وهذا نص الرّسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب السماحة آية الله حاج آقا حسين البروجردى

سلام الله عليكم ورحمته .

أما بعد فقد بلغنا ـ عن طريق المذياع ـ أنّ صحتكم الغالية قد ألمّ بها طارئ من المرض ، فأسفنا لذلک أشتد الأسف لما نعرفه فيكم من العلم والفضل والاخلاص للحق ، وإنّا لنسأل الله جلّت قدرته أن يعجّل بشفائكم ، ويلبسكم لباس العافية ، حتّى تتمكّنوا من العود الحميد الى نشاطكم المعهود فى خدمة الاسلام والمسلمين .

ولقد شاءت إرادة الله أن أكون أنا ايضاً فى هذه الفترة مريضاً معتكفاً فى بيتى أحمل همّين ممضّين : هم نفسى وهم قومى ، وأطيل التفكير حالياً فى حال امتّنا العزيزة ، فيأخذنى من القلق والحزن ما الله به عليم ، فأرجوا أن تسألوا الله لى العافية كما أسأله لكم ، والله يتولّانا جميعاً برحمته .

إن الأمة الإسلامية الآن أحوج ما تكون الى رجال صادقى العزم ، راجحى الوزن ، يجاهدون فى الله حقّ جهاده ، ليدرأوا عنها غوائل الفتن ، ونوازل المحن ، فقد تألبّت فوى الشّرّ ، وتجمعت عناصر الفساد ، وزلزل المؤمنون فى كلّ قطر من أقطارهم زلزالاً شديداً ، كأنه قد أتى الزمان الذّى أنبأ الصادق الامين ـ صلولت الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ـ : أن القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر ، وانمّا مثل اهل العلم من المؤمنين الصّادقين كأطواد راسية او حصون منيعة ألقاها الله

فى الناس ان تميد بهم الارض من فتنة او جهالة ، او كنجوم ثاقبة فى ليل داج ، ترشد السّارين ، وتهدى الحائرين . فادع الله معى أن يحفظ هؤلاء ويكثر فى الامة منهم ، وينشر عليهم رحمته ، وينزل عليهم سكينته ، ويؤيّد بهم الحق والدين ، ويهزم بهم المبطلين والملحدين والمفسدين ، إنه على ما يشاء قدير ، وبالاجابة جدير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١٤ من شعبان سنة ١٣٧٠ هـ [٢١٨] .

٢ـ رسالة السيد البروجردى الى شيخ الازهر

لمّا وصلت رسالة شيخ الازهر الى السيد ، أجابه شاكراً عواطفه تجاهه وقال :

حضرة صاحب الفضيلة الاكبر الشيخ عبدالمجيد سليم شيخ الجامع الازهر ـ دامت افاضاته .

السلام عليک ورحمتة الله وبركاته .

امّا بعد ـ فقد بلغنا كتابكم الكريم الحاوى للعواطف الإسلامية السّامية ، يحكى لنا أنّه لمّابلغكم عن طريق المذياع أن صحّة هذا العبد قد ألمّ بها طارئ من المرض ، أسفتم لذلک ، ودعوتم الله تعالى أن يعيد له الصحة .

فأشكركم على ذلک ، وأسأل الله تعالى أن يبدلّ التعارف والتعاطف بين المسلمين ، ممّا كان بينهم من التناكر والتدابر والتقاطع ، انه على ما يشاء قدير .

ويحكى كتابكم أيضاً ، انّه قد ألمّ بصحّتكم الغالية طارئ من المرض ، كما ألمّ بى ، فاعتكفتم فى البيت حاملين لهمين ممضّين :

[٢١٨] ـ رسالة الاسلام ، العدد الثالث من السنة الثالثة وله رسائل اخرى جاءت فى رسالة الاسلام ، العدد الثانى من السنة الرابعة عام ٣٧١ .

همّ نفسكم ، وهمّ قومكم ، وأن إطالة التفكير فى حالة الأمة ، توجب لكم من القلق والحزن ، ما الله به عليم .

هكذا ينبغى أن يكون رجال العلم ورجال الاسلام ، مهما حاقت بالمسلمين زلازل الفتن ، وأحاطت بهم نوازل المحن ، فأسأل الله عزّ سلطانه ، أن يلبسكم لباس العافية ، ويوفقكم لخدمة الإسلام والمسلمين ، ولما يوجبه الاهتمام بأمر الأمّة فى مثل هذا الزمان ، من امثال جنابكم الذين وقفوا أنفسهم لخدمة هذه الامّة ، ودرء عوادى المفسدين والملحدين عنها ، انّه قريب مجيب . و إن هنا أموراً كنت أحب ابداء هالكم ، لكن حالى لا تساعدنى على ذلك .

والسلام عليكم وعلى ما أحاط بكم من المؤمنين الصادقين ورحمة الله وبركاته

١٧ من رمضان سنة ١٣٧٠ هـ [٢١٩]

٣ـ الفتوى التاريخية لشيخ الازهر الشيخ محمود شلتوت

وينبغى هنا الاشارة الى الفتوى التاريخية لشيخ الازهر فى امر جواز التعبد بمذهب الشيعة الامامية .

والشيخ محمود شلتوت (١٣١٠ ـ ١٣٨٣ هـ) ، احد شيوخ الازهر ، كان فقيهاً مفسرّاً عالماً كبيراً من رجال الاصلاح ودعاة التقريب ، تخرج بالجامع الازهر ، ومن اساتذته فيه : عبدالمجيد سليم شيخ الازهر ، والسيد عبدالمجيد بن ابراهيم الحسنى اللّبان .

وتنقل فى التدريس الى أن نقل بالقسم العالى فى القاهرة ونادى باصلاح الازهر .

وكان بصيراً بالاحكام الشرعية الملائمة لمقتضيات العصر ، واسع الافق ، حرّاً فى تفكيره ، من الدعاة الى فتح باب الاجتهاد ، والى الاطلاع على سائر المذاهب الإسلامية تبنى مع نخبة من علماء السنّة

[٢١٩] ـ رسالة الاسلام : العدد الثالث من السنة الثالثة .

والشيعة فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية والعمل على جمع الكلمة ، و نبذ النزاع الطائفى و التشاحن المذهبى ، وقد تمخض عن ذلک انشاء جماعة التقريب وتأسيس مقرّ لها فى القاهرة باسم دارالتقريب ، واصدار مجلة رسالة الاسلام » .

وقد تبادل كثيراً من الرسائل والمقترحات مع الاعلام ، منهم :

الامام محمد حسين كاشف الغطاء النجفى ، والسيد عبدالحسين شرف الدين العاملى ، والسيد حسين الطباطبائى البروجردى .

ولمّا تولّى مشيخة الازهر عام ١٣٧٨ هـ أعاد النظر فى تنظيم المناهيج ، وأدخل الدّراسات القانونيّة ، وفقه الإماميّة ومن مظاهر نواياه الصادقة ، و عقيدتة فى التقريب ، انّه اعلن بتاريخ ١٧ ربيع الاول ١٣٧٨ هـ عن فتواه التاريخية بجواز التعبّد بمذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية كسائر مذاهب اهل السنة ، حيث سئل فضيلته بما نصه :

« انّ بعض النّاس يرى أنّه يجب على المسلم لكى تقع عباداته ومعاملاته على وجه صحيح أن يقلّد أحدالمذاهب الأربعة المعروفة وليس من بينها مذهب الشيعة الامامية ولا الشيعة الزيديّة ، فهل توافقون فضيلتكم على هذا ارأى على اطلاقه فتمنعون تقليد مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية مثلاً»

فاجاب فضيلته :

«١ـ انّ الاسلام لا يوجب على أحد من أتباعه إتّباع مذهب معيّن بل نقول : انّ لكل مسلم الحق فى أن يقلّد بادئ ذى بدء أىّ مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً والمدونة أحكامها فى كتبها الخاصة ، ولمن قلدّ مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل الى غيره ـ اى مذهب كان ـ ولا حرج عليه فى شئ من ذلک .

٢ـ إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الامامية الاثنا عشريّة يجوز التعبّد به شرعاً كسائر مذاهب اهل السنة .

فينبغى للمسلمين أن يعرفوا ذلک ، وأن يتخلّصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة ، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب ، او مقصورة على مذهب ، فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى ، و يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقررونه فى فقههم ، ولا فرق فى ذلک بين العبادات والمعاملات»[٢٢٠] .

وكان فضيلته قد أرسل هذه الفتوى الى سماحة الشيح محمد تقى القمى برسالة هذا نصّها :

السيد صاحب السماحة العلّامة الجليل الاستاذ محمدتقى القمى السكرتير العام لجماعة التقريب بين المذاهب الاسلامية .

سلام الله عليكم ورحمته.

أما بعد فيسرّنى أن ابعث الى سماحتكم بصورة موقع عليها بامضائى من الفتوى التّى اصدرتها فى شأن جواز التعبد بمذهب الشيعة الامامية راجياً ان تحفظوها فى سجلات دار التقريب بين المذاهب الاسلامية التى أسهمنا معكم فى تأسيسها و وفقنا الله لتحقيق رسالتها .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شيخ الجامع الازهر محمود شلتوت[٢٢١] .

[٢٢٠] ـ مجلة رسالة الاسلام : السنة الحادية عشرة ، العدد ٣ ، محرم الحرام ١٣٧٩ هـ .
[٢٢١] ـ يراجع : اضاءات فى طريق الوحدة و التعايش ، تأليف العلّامة الفقيه الشيخ جعفر السبحانى ص ٧٢ ـ ٧٥ .